# البلاغة فى كتاب الصاحبى

لابن فارس سنة ٣٩٥ هـ

دكتور

**أحمد عبد الجواد محمد عكاشه**

مدرس البلاغة والنقد فى كلية اللغة العربية بأسيوط

## الجوانب البيانية فى كتاب « الصاحبى » :

### البيان فى اللغة :

مطلق الوضوح والظهور . قال الزمخشرى فى أسس البلاغة بأن الشىء وتبين وبين أى ظهر . ورجل بين : فصيح ذو بيان .

ولكن ابن فارس ينظر إليه من حيث كونه أعلى مراتب الإفصاح فينقل قول الله تعالى : « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين[1] .

ثم يقول : فوصفه جل ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان .

وقال جل ثناؤه : « خلق الإنسان علمه البيان[2] » فقدم جل ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه . من شمس وقمر ونجم وشجر . وغير ذلك .

---

(١) الآيات من سورة الشعراء من رقم ٩٣ – ١٩٥

(٢) من سورة الرحمن رقم ٢ ، ٤

كذلك نراه يؤثر البيان العربى على غيره وليس المقصود من البيان مطلق الإبانة بقوله . فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربى لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين .

قيل له إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمى متكلما فضلا عن أن يسمى بينا أو بليغاً . فابن فارس لم يرض أن يجعله بمعنى الإفصاح والتبيين مطلقاً بل أطلقه على البيان البليغ . أو ما يصل إلى أعلى مراتب الكلام ، لذلك جمع أجزاء من علم المعانى والبيان . وهو يتحدث عن البيان عند العرب حيث يقول : « وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الإستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب فى القرآن[1] » .

فالواضح من كلامه أنه جمع ضروباً من المعانى والبيان بالمفهوم الذى عرف عند المتأخرين بأنه « إيراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه بعد رعاية المطابقة »[2].

المقصود بالجوانب البيانية فى البحث :

البيان عند ابن فارس لا يقصد به علم البيان عند البلاغيين ولكنه أراد أن يتكلم على الألوان البلاغية غير مفرق بين الألوان التى فى علم المعانى والألوان التى فى علم المعانى ، والألوان التى فى علم البيان والتى فى علم البديع . ولكننا تناولنا جوانب علم المعانى التى ذكرت فى كتاب الصاحبى قبل ذلك .

---

(١) الصاحبى ص ١٦ — ١٧ ط الحلبى

(٢) الإيضاح للقزوينى ص ٢١٢ ط السنة المحمدية

والآن تعرج على الألوان التى ذكرت واندرجت تحت علم البيان بجميع كل درة إلى عقدها وفى نظمها . متناولين فى علم البيان . التشبيه . المجاز . والكناية . مصدرين حديث ابن فارس فى الحقيقة والمجاز .

الحقيقة فى اللغة : ما وضعت فى موضعها وهى مأخوذة من قولنا حق الشيء إذا وجب . واشتقاقه من الشيء المحقق وهو المحكم ، تقول : ثوب محقق النسيج ، أى محكمه ، قال الشاعر : نسربل جلد وجه أبيك إنا كفيناك المحققة الرقاقا وهذا جنس من الكلام يصدق بعضه بعضاً من قولنا حق . وحقيقة ، ونص الحقاق وهى عند ابن فارس : الكلام الموضوع[1] موضعه الذى ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير ، كقول القائل : أحمد الله على نعمه وإحسانه . قال الله جل ثناؤه « والذين يؤمنون بما أنزل إليك . وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »[2].

ونقف عند هذا الكلام الذى قاله ابن فارس ، ونقول إن هذا الرجل قد ذكر الكلام ولم يتعرض للكلمة والحقيقة تكون فى الكلمة أولا . والنقل يكون فيها . كذلك نظر إلى أن التقديم والتأخير ضمن المجاز وهذا دليل على توسعه فى معنى المجاز وليس هو المجاز الإصطلاحى من النقل لعلاقة وقرينة فى الكلمة أو التركيب كذلك ذكر الآية الكريمة على أن الجار والمجرور وهو « بالآخرة » مقدم على يوقنون . والتقديم يفيد الإختصاص والتأكيد .. أ بالآخرة هم يوقنون ، كذلك ذكر أن التشبيه من المجاز وليس من الحقيقة وإن كان غالب العلماء ذكر أن أن التشبيه من الحقيقة وليس من المجاز .

وهذا إن دل فإنما يدل على توسعه الشديد فى مفهوم المجاز .

---

(١) الصاحبى ص ٢٢١ — ٢٢٢

(٢) من سورة البقرة رقم ٤

المجاز : أما حديثه عن المجاز فلم يكن بأدق منه ، عندما تحدث عن الحقيقة فذكر أصل الكلمة اللغوى : ثم ما يريده بالمجاز فى الإصطلاح ولم يكن دقيق الحدود ، فقد جعل الضابط المسوغ للتجوز هو القرب بين معنى الكلام وذلك التقييد غير منحصر لذا دخل فيه الكثير من المباحث التى ليست بمجازية ثم ذكر أمثلة من التشبيه والإستعارة وذكر قول الله عز وجل : « سنسمه على الخرطوم[1] » بأنه استعارة ، وذكر بعد ذلك مثالا طبق فيه الإستعارة حيث نقل قول النابغة الذبيانى .

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب[2]

بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدو منهن كوكب

فالمجاز هنا عند ذكر السورة ، وإنما هى من البناء ثم قال يتذبذب ، والتذبذب يكون لذاهب الثوب وهو ما يتدلى منه فيضطرب ، ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب .

أصل لفظ المجاز : مأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضياً تقول : جاز بنا فلان وجاز علينا فارس ، هذا هو الأصل ثم يقول : يجوز أن تفعل كذا أى ينفذ ولا يرد ولا يمنع ، وتقول : عندنا دراهم وضح وازنة ودرهم وضح أى نقى أبيض على النسب ، والوضح الدرهم الصحيح ، وأخرى تجوز جواز الوازنة ، أى إن هذه وإن لم تكن وازنة فهى تجوز مجازها وجوازها لقربها منها .

---

(١) من سورة القلم رقم ١٦

(٢) ديوان النابغة ص ٧٣ — ٧٤ ط المعارف

فالمجاز : هو الكلام الذى يمر مرور الحقيقى . ولا يعترض عليه لقربه من الحقيقى[1] .

وهذا التعريف يدل على توسع شديد . غير أنى وقفت فى هذا الكتاب على فهم دقيق لابن فارس فى المجاز والحقيقة حيث يقول فى باب الأسباب الإسلامية . .

« فكان مما جاء فى الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق . وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان ، والإيمان هو التصديق ، ثم زادت الشريعة أوصافا سمى بها المؤمن بالإطلاق مؤمناً . وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشىء . ثم جاء فى الشرع من إوصافه ما جاء . وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر . فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه وكان الأصل من نافقاء اليربوع »[2].

ولم يعرفوا فى الفسق إلا قولهم : فسقت الرطبة . . إذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بأن الفسق : الإفحاش فى الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه .

ومما جاء فى الشرع : الصلاة وأصله فى لغتهم الدعاء .

وكذلك الصيام وأصله عندهم الإمساك . وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير القصد .

وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء . وزاد الشرع ما زاده فيها فالوجه فى هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فى الصلاة اسمان

---

(١) الصباحى ص ٣٢١ - ٣٢٢

لغوى وشرعى ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الإسلام به(١) .

وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر كل ذلك له اسمان لغوى وصناعى . .

هذا كلامه ، وبالنظر الفاحص إليه نجد أنه حينما يذكر فى آخر كلامه هذا من الإجابة على السائل بالرجوع إلى الأصل . فهو يريد الحقيقة اللغوية وقوله :

وذكر ما كانت العرب تعرفه . إنما يريد توضيح العلاقة . وتقييده بعد ذلك بأن هذا الاسم فى الصلاة فى الشرع إنما يريد القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقى

وذلك أدق ما وصلنا عن الحقيقة والمجاز . بل أكثر من هذا ما ذكره ابن فارس فعند التأمل فى أول كلامه نجده يقيد الكلام بما عرف عند المتأخرين من تقسيم الحقيقة إلى لغوية وشرعية ، وعرفية عامة . وعرفية خاصة ، وذلك عند قوله : وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعه شرائط وأوصاف . بها سمى المؤمن بالإطلاق مؤمنا .

والمتبادر من قوله بالإطلاق أنه يريد الحقيقة التى لا تحتاج إلى تبيين علاقة ووشيجة بين أصل الإستعمال اللغوى والاستعمال الشرعى كما وضح من قبل كما لا يحتاج إلى بيان وأن هذا استعمال شرعى . وهو ما يعنيه البيانيون بالقرينة أى أنه يريد أن لفظ المؤمن حقيقة شرعية . .

---

(١) الصاحبى ص ٥٤ - ٨٥

ويذكر عندما جاء يفسر قول الله تعالى : ( وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج )[1] قال : « وإنما جاز أن يقول أنزل لأن الأنعام لا تقوم إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء والله جل ثناؤه ينزل الماء من السماء » .

وهذا واضح أنه حديث عن العلاقة وإن لم يسمها بهذا الاسم الإصطلاحى وإنه لولا وجود هذه الصلة الوثيقة وإن بعدت مراميها ما جاز أن ينقل اللفظ أنزل إلى الخلق ، وهذا من المجاز المرسل .

من خلال فهمنا لحديث ابن فارس عن الحقيقة والمجاز ظهر لنا أن ابن فارس فهم المجاز والحقيقة بالمعنى الإصطلاحى غير أنه لم يقع فى صناعة الحدود المنطقية ، ثم نبدأ بحديثه عن التشبيه .

## « التشبيه »

أدواته : حظه من الدراسة عند ابن فارس .

باب التشبيه واحد من طرق علم البيان جاء به ابن فارس فى كتاب الصاحبى .

إلا أنه لم يستوفه بحثا . كما لم يذكره تحت باب مستقل . لكن ما وقفت عليه من هذا الباب يمكن أن يكون تصوراً عاماً عن التشبيه . ومدى إستقراره فى ذهن ابن فارس كفرع من علم البيان .

تحدث ابن فارس عن بعض أدوات التشبيه كالكاف ومثل وكأن وإن كان المتأخرون قد أفاضوا فى بحث الأداة .

---

( ١ ) من سورة الزمر رقم ٦ ، الصاحبى ص ١١١ .

جاء ابن فارس ببعض أقسام التشبيه كالتشبيه المقلوب والتشبيه البليغ والملفوف والتشبيه المفرد المقيد وهذا ما أفاض فيه المتأخرون ودونك أمثلة ابن فارس وحديثه .

أدوات التشبيه :

الكاف : ذكر أنها تفيد التشبيه وقال إنها تأتى إسماً وحرفاً وحرفيتها كثيرة ، واستدل على إسميتها بدخول حرف الجر عليها فقال : « وقد تدخل عليها الباء فيقولون : رجل كالأسد ومررت بكالأسد أرادوا (١) بمثل الأسد . وأنشدوا : —

علا كالخنيف السحق يدعو به الصدى ... له قلب عادية وصحون

هذا البيت فى صفة طريق . والخنيف أردأ الكتان وثوب خنيف ردىء ولا يكون إلا من الكتان خاصة . والسحق : الخلق البالى . والقلب جمع قليب وهو البئر . والعادية القديمة . والصحون جمع صحن وهو ساحة وسط الفلاة ونحوها من متون الأرض وسعة بطونها . وصحن الوادى سنده وفيه شىء من إشراف عن الأرض يشرف الأول فالأول كأنه مسند . وقال ابن هشام فى المغنى نحو (٢) زيد كعمرو تحتمل الكاف الحرفية فتتعلق والإسمية فتكون مرفوعة المحل وما بعدها جر بالإضافة .

وقد ذكر ابن فارس أن الكاف تزاد وأرادوا بزيادتها معنيين مختلفين :

---

(١) الصاحبى ص ١٤٤ .

(٢) المغنى ص ٢ ج ١٢٨ .

الأول الزيادة بالمعنى المعروف ، ومثل له بقوله عز وجل ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . . ) أى ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والزيادة لم يقصد بزيادتها زيادة كفى ليس لذكره فائدة أصلا . .

ومن قال بأصالة الكاف فمعناه ليس كذاته شيء . وقوله تعالى : ليس كمثله شيء [1] ) .

فالأسلوب عبارتان عن معنى واحد وهو نفى المماثلة عن ذاته لكن الأول صريح فى ذلك وهو ليس كذاته شيء . والآية الكريمة كناية نشتمل على مبالغه ، وهى أن المماثلة منفية عمن يكون مثله وعلى صفته فكيف عن نفسه . وهذا لا يستلزم وجود المثل . ألا ترى أن مثل الأمير يفعل كذا ليس اعترافاً بوجود مثل إذ الغرض كاف فى المبالغة وقوله فى نفيه أى نفى الفعل عن الفاعل أو نفى الشبه عنه ومن يناسبه ويسد مسده هو المثل المشبه لأن المشبه به حقه أن يكون أقوى من المشبه ومثله كاف فى حصول المراد .

الثانى : الزيادة بالمعنى الاستقلالى للكلمة . ومثل له بقول بعض العرب مذ كم قعد فلان ؟ فقال كذ أخذت فى حديثك فزيادة الكاف فى مذ دليل على زيادة الكاف فى كم [2] .

والواضح أنها ليست زائدة ولا يستقيم المعنى ولا يتضح بغيرها . لما كان قصده بالزيادة الاستقلال فهو يستدل على زيادة الكاف فى كم الاستفهامية

---

( ١ ) حاشية الشهاب جـ ٧ ص ٤١٣ الآية رقم ١١ الشورى .
( ٢ ) الصاحبى جـ ٢٤١ معانى القرآن للفراء جـ ١ ص ٤٦٦ .

إذ يقول أصلها ( ما ) ودخلت عليها الكاف وحذفت الألف لكثرة الاستعمال .

كأن : تحدث عن كأن وأبان أنها مركبة ، وهو رأى لبعض البيانيين ، ولم يتعرض فيها لاستعمال بيانى بل ذكره عنها مختص [1] بمعان نحوية صرفة من حيث دخولها على الجمل الفعلية وإهمالها عند التحقيق أو جعل إسمها ضمير الشأن وذلك بعيد عن البيان لولا ذكره أنها كلمة تشبيه ، أنظر قوله كأن كلمة تشبيه ، قال قوم : هى إن دخلت عليها كاف التشبيه فتحت . وقد تخفف قال الله جل ذكره ( كأن لم يدعنا إلى ضر مسه [2] ) .

إلا أنها إذا وضعت فى مثل هذا الموضع قرنت بها الهاء فقيل كأنه لم يدعنا وقالت الخنساء :

كأن لم يكونوا حمى يتقى إذ الناس إذ ذاك من عز بزا

أرادت كأنهم لم يكونوا : ومن عز بز أى من غلب سلب .

مثل : فى باب الزيادة . ذكر هذا الإسم الذى يفيد التشبيه فى زيادة الأسماء وقال بزيادته نعم فالتشبيه هنا ليس [3] مقصوداً ولكن المقصود لازمه فهو من باب الكناية . قال ابن فارس : وأما المثل ففى قوله جل ثناؤه .

( فأتوا بسورة من مثله [4] ) وبقول قائلهم : مثلى لا يخضع لمثلك . . أى أنا لا أخضع لك .

---

( ١ ) الصاحبى ص ٤٢٩ .

( ٢ ) من سورة يونس رقم ١٢ .

( ٣ ) الصاحبى ص ٣٣٩ .

( ٤ ) من سورة البقرة رقم ٢٣ .

قال الشـــاعر :

يا عاذلى دعنى من عـذلكا     مثلى لا يقبل من مثلكا

وقال جل ثناؤه . . . وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله [١] أى علية

التشبيه والتمثيل :

من المصطلحات الناضجة عند المحققين والتى وضح الفرق بينهما وضوحاً تاماً مصطلح التشبيه والتمثيل ، ولا شك أن التمثيل عندهم أعلا مقاما وأرفع قدرا وإن اختلف قياسه وتحقيقه بين عبد القاهر وغيره . أما التشبيه فإنه يطلق على ما ليس متأولا بتركيب أو كون الوجـه عقلى أو منتزعا من أمور أو غيره .

لـكن هذا المعنى لم يكن خطر على ذهن ابن فارس فاستعمل المصطلحين استعمال المترادف وهو ذاك فى الوضع اللغوى ، فهو يقرر أن الحقيقة ماليست باستعارة ولا تمثيل والمجاز ما فيه تشبيه أو استعارة [٢] . ويضرب لذلك أمثلة فيقول : عطاء فلان مزن ، وقد جاز بجاز عطاؤه كثير ولف . . ومثل هذا فى كتاب الله عز وجل وله الجوار المنشئات فى البحر كالأعلام [٣] . فهذا تشبيه حيث شبه السفن الجارية فى البحر كالأعلام [٣] فى الارتفاع .

---

(١) من سورة الأحقاف رقم ١٠ .

(٢) الصاحبى ج٢ ، ٣٢ .

(٣) من سورة الرحمن رقم ٢٤ .

التشبيه المضمر الأداة :

فى باب أجناس الأسماء فى الصاحبى ذكر بعض التقسيمات للإسم منها تقسيم نوع الإسم إلى خمسة أنواع وسمى نوعا منها بأنه الإسم المشبه ثم ذكر المثال من التشبيه المحذوف الأداة ، وقد حدث فيه اختلاف من البيانيين من حيث ضمه للاستعارة أو أن يعد من أضرب التشبيه . والذى يعنينا هنا أن ابن فارس لم يتردد فى تسمية التشبيه فقال أسماء الأعيان خمسة : إسم لازم وإسم مفارق وإسم مشتق وإسم مضاف وإسم مشبه (١) والمشبه قولنا رجل حديد وأسد على وجه التشبيه .

التشبيه الملفوف :

فى باب جمع شيئين فى الابتداء وجمع خبريهما ثم يرد إلى كل مبتدأ به خبره .

فى هذا الباب جمع أشياء متفرقة فيها من المقابلة أو ملحقات الطباق وما يسمى بالالف والنشر فى علم البديع ، غير أنى وجدته تحدث عما أسماه البيانيون بالتشبيه الملفوف : قال وهذا فى كلامهم وأشعارهم كثير . قال امرئ القيس (٢):

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا  لدى وكرها العناب والحشف البالى

أراد كأن قلوب الطير رطبا العناب . ويابساً الحشف البالى . . .

---

(١) الصاحبى ص ٩٧ .

(٢) الصاحبى ص ٤٠٩ .

التشبيه المفرد المقيـــد :

قسم البلاغيون أبواب التشبيه بطريقة منطقية واصطلحوا على تسميتها بمسميات لم نجد أكثرها عند ابن فارس . لكن عندما قسموا التشبيه إلى مفرد ومركب ثم ألحقوا بالمفرد التشبيه المقيد . ونجد ابن فارس هو السابق فى ذكر المطلق والمقيد فذكر باباً سماه المطاق والمقيد . قال :

وأما الإطلاق فان يذكر للشيء باسم لا يقرن به صفة ولا شرط ولازمان ولاعدو ولاشيء يشبه ذلك ويمثل ابن فارس للمطاق بقول امرىء القيس .

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل[1]

المهفهفة . . هى اللطيفة الخصر الضامرة البطن . المفاضة : المرأة العظيمة البطن المسترخية اللحم . الترائب جمع تريبة وهى موضع القلادة من الصدر . الصقل والسقل إزالة الصدأ والدنس . والسجنجل : المرآة وقيل بل هو قطع الذهب والفضة والبيت ينبيء عن امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن غير عظيمة البطن ولا مسترخية وصدرها براق اللون متلألىء الصفاء كتلألؤ المرآة .

والتقييد : أن يذكر بقرين من بعض ما ذكره فيكون ذلك القرين زائداً فى المعنى .

من ذلك أن يقول القائل : زبير ليث فهذا إنما شبه بليث فى شجاعته . فإذا قال هو الليث الحرب فقد زاد الحرب وهو الغضبان الذى حرب فريسته أى سلبها فإذا كان كذا كان أدهى له .

---

(١) ديوان امرىء القيس ص ٢٤ . الصاحبى ص ١٦ - ٢١٧ .

وذكر ذو الرمة تشبيهاً بالمرآة فزاد فى المعنى حتى قيد إذ يقول ..

لها أذن حشر وذفرى أسيلة وخد ووجه كمرآة القريبة أسجح

والأذن الحشر والحشرة : الصغيرة اللطيفة . والذفرى العظم الشاخص خلف الأذن ووجه أسجح حسن معتدل فوصفها بأنها صغيرة الأذن لها عظم خلف أذنها يزيدها جمالا على بياض وجهها فذو الرمة قيد المرآة هنا بأنها غريبة وذلك أن الغريبة تزيد فى المعنى عن المرآة المطلقه وهى السنجنل . لأن الغريبة ليس لها من يعلمها محاسنها من مساويها حتى تحتاج أن تكون مرآتها أصفى وأنقى لتريها ما تحتاج إلى رؤيته من سنن وجهها . ويمثل كذلك بقول الأعشى .

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

شبه الجفنة بالجابية وهى الحوض الضخم وقيدها بذكر الشيخ العراقى لأن العراقى يجهل الماء فى الصحراء لأنه حضرى فإذا وجد الماء ملأ جابيته وأعدها ولم يدر متى يجد الماء وأما البدوى فهو عالم بالمياه فهو لا يبالى أن لا يجدها .

وكذلك يمثل حميد بن ثور فى وصف بعير .

على بأطواق عتاق يبينها على الضر راعى الثلة المتعيف(١)

يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتهما وسماتها حلية من حيث كان موسوماً بهما . يتبينها هذا الراعى فيعلم أنه كريم ..

وخص راعى الضأن لجفائه وجهله بأمر الإبل ، ويقال فى المثل أجهل من

---

(١) الحماسى ص ٣١٦ .

راعى ضأن ومعنى لا يتقوف لا يطلب أمراً يستدل به على نجابته لأن النظر يدل عليه .

وهنا فى البيت قيد راعى القلة ولم يطلق اسم الراعى . . . وإن كان هذا البيت عالياً من التشبيه إلا أنه أراد أن يفرق بين المطلق والمقيد عموماً .

وهذه الفكرة التى تكلم عليها ابن فارس أخذها المتأخرون ووسعوا دائرتهم فى التشبيه المفرد والمقيد والمركب . . وفرقوا بين الجمع وعرف السبكى المقيد بتعريف والمركب بتعريف فقال : التشبيه المفرد المقيد[1]، يكون الطرف فيه ذلك القيد والقيد شرط لا جزء . والمركب من الطرفين ما كانت هيئة حاصلة من شيئين أو أشياء تضامت وتلاصقت وامتزجت حتى صارت كالشىء الواحد وكونت صورة متكاملة ولوحة فنية يؤدى سقوط جزء من أجزائها إلى فساد تلك الصورة .

والمراد من القيد ، ذكر مايتعلق بوجه الشبه من حال أو مفعول أو مجرور أو صفة أو ظرف أو مضاف إليه والقيد شرطه أن يكون له تعلق خاص بوجه الشبه ومثله للخطيب القزوينى[2]. عن لايحصل بمن سعيه على شىء بقوله هو كالقابض على الماء فإن المشبه هو الساعى المقيد بأنه لا يحصل من سعيه على شىء والمشبه به هو القابض على الماء فالمشبه إنه مقيد بكونه قابضاً على الماء لاغير ووجه الشبه هو النسوية بين العقل وعدمه والسبكى فى عروس الأفراح يقرر[3]، أن المركب والمقيد صنوان ان ينفصلا بقوله تشبيه المركب بالمركب

---

(١) عروس الأفراح جـ ٣ صـ ٤١٨ .

(٢) الإيضاح صـ ٢٤٤ .

(٣) عروس الأفراح جـ ٣ صـ ٤١٨ - ٤٢٣ .

والمفرد المقيد بالمفرد المقيد لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر فى اللفظ بل فى المعنى، فحيث كان المقصود الهيئة الحاصلة من مجموع أمرين أو أمور فهو تشبيه مركب بمركب لأن كل واحد من أجزاء الطرف الواحد ليس مقصوداً وإن صح تشبيهه بجزء الطرف الآخر وحيث كان المقصود أحد أجزاء الطرف الآخر ولكن بقيد فيه وليس ذلك القيد مقصوداً لنفسه بل للطرف فهو مقيد بقيد وإذا وجدت فى أحد الطرفين قيداً لفظياً فانظر إلى المعنى فإن وجدت القيد هو المقصود والقيد تبع له لم يؤثر فيه شيئاً فهو مفرد مقيد وإن وجدت تشبيههما إلى الهيئة الحاصلة فى الذهن على السواء فهو تشبيه مركب .

وعلى كل حال نقول : إن التشبيه المركب[1] والمقيد لا يكاد ينفصل أحدهما عن الآخر لأننا نأخذ وجه الشبه من العلاقة بين الأجزاء أو من ذاتية الألفاظ من المحسوس فكيف لا نجعله مركباً .

لذلك يقول سعد الدين التفتازانى . والفرق بين المركب والمفرد المقيد أحوج شىء إلى التأمل لذلك لتعسر التمييز بين المقيد والمركب[2] إذ القيود معتبرة فى الهيئة التى جعلت وجه الشبه ، ولا حاكم فى تمييز أحدهما عن الآخر سوى سلامة الطبع وصفاء القريحة . وهذا الأمر الذى فصله ابن فارس فى التشبيه المفرد المقيد وغيره لم يجعل الفرق بين المركب والمقيد. بل كان المقيد محسوباً من التشبيه المركب لأن القيد له دخل فى وجه الشبه .

---

(١) البهاء السبكى وجهوده البلاغية ص ٤٠٥ د . أحمد عكاشة .

(٢) المطول ص ٢٢٧ ، حاشية عبد الحكيم ص ٤٣٢ .

## التشبيه المقلوب :

إذا كان البلاغيون يقسمون التشبيه من حيث الأغراض إلى ما يعود على المشبه وإلى ما يعود على المشبة به ، فما تقدم يمثل الغرض الأول وهنا يكمل باقى القسمين لنجمع تصوراً كاملا للتشبيه عند ابن فارس .

فنجده يضع عنواناً وهو القلب وهو بحث عام ، وإنما كان سبب عمومه فقد جمع فيه القلب فى حروف الكلمة الواحدة وهو بحث تصريفى يسمى عند أهل التصريف بالقلب المكانى ومثل له بجذب وجبذ .

وآخر تحدث فيه عن القلب المعروف ضمن ملحقات الالتفات فى علم المعانى للمبالغة مثل قولهم : أدخلت الخاتم فى أصبعى . أو عرضت الحوض على الناقة وفى نفس المعنى ذكر أمثلة أخرى لكن على طريق التشبيه مما نعنيه فى بحثنا فقال . وأما الذى فى غير الكلمات فقولهم . كما عصب العلباء بالعود .

وأصل البيت وهو للشماخ(١) :

أنا الجحاشى شماخ وليس أبى بنخسه لغريبع غير موجود

منه ولدت ولم يؤشب به حسبى كما كما عصب العلباء بالعود

نسب نفسه إلى جده جحاش وينفى عن نفسه الخسه والضيمة وإنه لم يكن ولد زناً والنخسة الزينة يربع : غريب، كما : جعاً . كما يعصب العود إذا انكسر بالعلباء وهو عصب تشد به الرماح . وكان الوجه أن يقول ( كما عصب العود بالعلباء ) وبمثل بقولهم : كأن لون أرضه سماؤه .

---

(١) صاحبى ج ٢٣ ، ديوان الشرح ص ١١٩ دار المعارف .

وأصله كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه . .

كما كان الزناء فريضة الرجم ، وأصله كما أن فريضة الزناء الرجم وهذه أمور قد حللها وأدرجها ابن قتيبة[1] جمعاً لها من السابقين وليس لابن فارس نصيب يذكر فى مقام التسجيل إلا الجمع فقط .

# « أنواع المجاز »

قد اتضح لنا من دراستنا لهذا الكتاب أن ابن فارس قد تناول المجاز بمعنى للتوسع فى القول وذكر له أضرباً لا تكاد تحصر . ونحن لا نبحث البيان عنده بمعناه الشامل . كما لا نتناول المجاز بتصوره له .

ولكن الذى نضع أيدينا عليه هو المجاز الإصطلاحى ونقف عند الألوان التى تندرج نحوه .

وهذا المجاز منه منه ما يكون فى اللغة ومنه ما يكون فى الإسناد .

وقد تناولت المجاز الإسنادى فى علم المعانى وهو المجاز العقلى .

أما المجاز اللغوى فينقسم باعتبار العلاقة إلى ما تكون علاقته المشابهة أو المبالغة فى المشابهة وهذا اللون هو الإستعارة . وإذا كانت العلاقة غير المشابهة .

فهذا المجاز المرسل . ومجاز بطريق اللزوم وهو الكناية وهى مجاز

---

(١) راجع بدائع المثل السائر ج ٢ ص ١٩٧ ، عروس الأفراح ج ٣ ص ٢٨٤ .

مخصوص عند من : أعتبر أن المعنى الكنائى مدلول عليه باللفظ المذكور وليس مفاداً من المعنى الأول .

وكل من المجاز المرسل والمجاز بالتشبيه ينقسم إلى مفرد ومركب . .

ونحن نتقفى ما يوجد من كل منها عند ابن فارس إن شاء الله .

الإستعارة فى أعلام الأشخاص . .

هذا الموضوع حيوى وهام كما أعتقد وقد فصل فيه القول . فتحدث عن أسماء كثيرة لمسميات حدثت فى الإسلام والذى نعنيه هنا هو ما يطلق سمة وعلامة على الأشخاص وقد أضافنى إلى هذه المقدمة أمران :

أولهما : حديث ابن فارس عنهما بتفصيل وتوضيحه كيف كان العربى يتحرى جمع شبه ولو متأولا . لما يسمى به الشخص سواء كان لقبا المدح أو الذم . أو إسماً لرجل أو أنثى .

فلماذا خصت الإناث عند العرب بأسماء من الرقة والنعومة بمكان . بينما جعل للرجل من الأسماء ذئباً . صخراً . حربا . حجراً . . الخ .

ثانيهما : بقاء هذا الإحساس القديم فى نفوس البشر فلا نكاد نجد إنساناً يعزم على تسمية مولود إلا وهو يجتهد فى جمع ما يحوى صفات حسنه أو يتأول فى المسمى ما يحمله هذا الاسم . كما يظهر كذلك من تفاخر البعض بالألقاب وتنابزهم كذلك وعلى الرغم من هذا فإنى وجدت بين البيانين والأصوليين خلافا فى جواز جعل هذا الموضوع من قبيل المجاز أو غيره . إذ يرى البعض أن الأعلام توضع لمجرد التمييز . ويرى البعض الآخر أنهما لا تجوز إلا إذا

كان ذلك النقل من اسم جنس لعدم جواز الاشتراك أو دخول الإدغام فى الحقيقة الواحدة .

ولقد ذكر الآمدى فى أحكامه والإمام الرازى فى محصوله [١] حيث قالا إن الأعلام المنقولة ليست بحقيقة ولا مجاز وذهب البيانيون مذهباً آخر .

والصواب جوازه فى الجميع أما اسم الجنس فواضح . وأما علم الشخص فربما امتاز الشخص بسمه واحدة تشتهر شهرة واسعة . فنجعل اسمه إذا أطلق تبادر منه إلى الذهن معنى الصفة قبل تبادر معنى الذات . أو أن يكون ذلك اللفظ من مادة تدل على صفة معينة مرادة لمدح أو ذم .

وإليك حديث العلامة ابن فارس فى هذا الموضوع قال :

وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد [٢] ، فذهب علماؤنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر . سماه بما يراه أو يسمعه مما يتفاءل به فإن رأى حجراً أو سمعه . تأول فيه الشدة والصلابة . والبقاء . والصبر وإن رأى ذئباً تأول فيه الفطنة والمكر .

وإن رأى حماراً تأول فيه طول العمر والوقاحة . وإن رأى كلباً تأول فيه الحراسة . وبعد الصوت والإيناس . وعلى هذا يكون جميع ما لم نذكر من أسماء .

---

(١) راجع الرسالة البيانية بحاشية الأنبابى ص ٦٧ ج ١ الأولى الأميرية .
(٢) الصباحى ص ١٠٩ .

هذا وليس معنى التأول الذى ورد فى حديث ابن فارس إلا ما نعنيه من العلاقة والرابطة عند النقل والإستعارة . ولو كان مجرد اسمه أو علامة من وجه واحد لما يحب الغربى .. وهناك وجوه شبه معينة كما فى الحمار مثلا .

أما حديثه عن الألقاب فذكره تحت عنوان .

باب ما جرى مجرى الإسماء وإنما هى ألقاب ،

قال : ومما جرى مجرى الاسم وهو لقب قوله مدركة وطابخة (١) .

وذلك فى العرب على ثلاثة أضرب : ضرب مدح . وضرب ذم . وضرب تلقب الإنسان لفعل يفعله . فالمدح تلقيبهم البحر والحبر . والباقر والصادق والدياج وغيرهم . والذم فكتلقيبهم بالوزغ ( سام أبرص ) ورشح الحجر . وما أشبه ذلك .

وهذا واضح تمام الوضوح فى كون هـــذه التسمية من الإستعارة التصريحية الأصلية وعلاقة المشابهة بارزة وواضحة . أما اللقب المأخوذ من الفعل الذى يدل على تأصيل الصفة فى الذات فليس من الإستعارة لكونه إطلاقا حقيقياً .

الإستعارة التصريحية التبعية فى اسم المفعول .

نقل ابن فارس بسند يتصل بإسماعيل بن عبيد الله قال ، المخضرمون من الشعراء من قال الشعر فى الجاهلية ثم أدرك الإسلام . يقول ابن فارس .

« وتأويل المخضرم من خضرمت الشىء أى قطعته (٢) . وخضرم فلان عطيته أى قطعها . فسمى هؤلاء مخضرمين كأنهم قطعوا من الكفر إلى الإسلام

(١) نفسه ص ١٠٨ (٢) الصاحبى لابن فارس ص ١٠٢

ويمكن أن يكون ذلك لأن رتبتهم فى الشعر نقصت . لأن حال الشعر تطامنت فى الإسلام لما أنزل الله جل ثناؤه من الكتاب العربى العزيز ، وهذا عندنا هو الوجه . لأنه لو كان من القطع . لكان كل من قطع إلى الإسلام من الجاهلية مخضرما والأمر بخلاف هذا

ويريد ابن فارس بالتأويل توضيح العلاقة . والسبب الرابط بين المنقول منه والمنقول إليه وفيه وضح الرأى المشهور ثم يبرز رأيا هو أقوى وأحق من ناحية المشابهة وهو أن المخضرم بمعنى المنقوص . لا بمعنى المقطوع . .

الإستعارة التصريحية التبعية فى معنى الفعل :

وقد أشار ذلك فى فعل الأمر : تعال : وهو فى الأصل نداء لمن كان فى أسفل المكان أمراً له بالعلو فيه والإرتفاع ، ثم شبه به مطلق الأمر بالإقبال سواء أكان ذلك الإقبال فى العلو أو الدون

يقول ابن فارس . فى تعال . . وكأنه ينقل عن السابقين له إنها أمر — أى تفاعل من علوت تعالى . يتعالى فإذا أمرت قلت : تعال .

ثم يكمل قوله فى نقله عن غيره : قالوا : وكثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة . هلم . حتى يقال لمن هو فى علو[1] تعال . وأنت تريد اهبط .

وهذا الأمر قد سجله ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن[2] . حيث قال : ثم إن العرب لكثرة إستعمالهم إياها صارت عندهم بمنزلة هلم . . حتى

---

(١) الصاحبى ص ٢١٤

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٥٥٦

استجازوا أن يقولوا الرجل وهو فوق شرف : تعال . أى اهبط . وإنما أصلها الصعود . . .

وإن كنت آخذ على ابن فارس عدم التسجيل بمن أخذ عنه وإن صرح فى قوله قالوا . .

وفى باب أبنية الأفعال فى الأغلب الأكثر .

وهو يريد بالأغلب الأكثر : الإستعمال الحقيقى ، وقد يأتى مستعملا إستعمالا مجازيا . كما ذكر فى الوزن فاعل . بمعنى فعل نحو ( قاتلهم الله فأنى يؤفكون )[1] .

ولمجىء الوزن فاعل فى الأغلب الأكثر لوقوع المماثلة فى فعل بين اثنين فإن إسناده إلى الله تعالى : قرينة على أنه لا يمكن أن يكون مراد به إشتراك الله مع أحد المخلوقات فى مقاتلة أيا كانت . .

لذلك نقول إن المفاعلة مجازية أراد بها وقوع اللعنة عليهم وإحاطة الذلة بهم أينما كانوا .

والسر فى ذلك إثبات تجدد اللعنة والغضب مرة بعد أخرى لما فى الصيغة من تصور التبادل والتكرر الذى يقع بين المتقابلين ، وفى ذلك تشبيه لشدة العضب واللعن الذى يلاحق الكافر بالمفاعلة فى المعنى ثم استعير لفظ مفاعلة لهذا المعنى على سبيل الإستعارة التصريحية .

---

(١) من سورة التوبة رقم ٣٠ والصاحبى ٣١٩

## الإستعارة التبعية فى صورة الفعل :

تحت باب التعويض تحدث ابن فارس عما يسمى عند المتأخرين بالإستعارة فى صورة الفعل وهو أن يستعار الزمن المضارع الماضى أو غيره . كقول الله عز وجل : ( أتى أمر الله فلا تستعجلوه )[1] فاستعار فى الآية لفظ الماضى « أتى » وجعله للزمن المضارع « يأتى » الدلالة على تحقق الوقوع .

قال ابن فارس : ومن سنن العرب التعويض وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة[2] فيقيمون الفعل الماضى مقام الراهن كقوله جل ثناؤه : ( قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين )[3] المعنى أم أنت من الكاذبين .

فالإستعارة هنا فى وقوع الفعل الماضى مكان المضارع .

لذلك يقول الزمخشرى : إن قوله ( أم كنت من الكاذبين )[4] أبلغ لأنه إذا كان معروفاً بالانخراط فى سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة ، وإذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به .

ومنه قوله تعالى : ( وما جعلنا القبلة التى كنت عليها )[5] . بمعنى : التى أنت عليها .

---

(١) من سورة النحل رقم ١ الصاحبى ص ٢٦٤

(٢) الصاحبى ص ٤٩٢

(٣) من سورة النحل رقم ٢٧

(٤) الكشاف ج ٢ ص ١٤٣

(٥) من سورة البقرة رقم ١٤٣

والسر البلاغى الذى يلوح كأنه يريد أن يؤكد أن القبلة التى أنت ثابت عليها الآن وقد كان ذلك منذ فترة كثيرة استغرقها الماضى .

الاستعارة التهكمية العنادية :

لقد وضع هذا النوع تحت عنوان شديد القرب بما اصطلح عليه علماء البيان أخيراً فقال : باب ما يجرى فى كلامهم مجرى التهكم والهزء .

يقول ابن فارس : يقولون للرجل يستجهل . يا غافل . ويقول شاعرهم :

فقلت لسيدنا يا حليـ م إنك لم تأس أسواً رفيقا

وتأسو : تداوى . أسواً وأسى مصدران والآسى الطبيب .

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

قربنـــاكم فعجلنـا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

ومنه قول الله تعالى ( إنك لأنت الحليم الرشيد [1] )

وهذه الأمثلة استقلت بالنوع الذى نزل فيه التضاد منزلة التناسب على التخييل للاستهزاء والسخرية ، وهذا اللون قد ذكره ابن قتيبة تحت باب [2] المقلوب للاستهزاء وأتى بهذه الأمثلة .

وأخذ هذا اللون الزمخشرى وسماه العكس فقال عند قوله تعالى ( إنك لأنت الحليم الرشيد ) .

---

( ١ ) من سورة هود ٨٧ .

( ٢ ) تأويل مشكل القرآن ص ١٨٥ .

نسبته إلى غاية السفه والغى فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذى لا يبيض حجره فيقال له : لو أبصرك حاتم لسجد لك (١).

وهذه الآية كلام حكاه القرآن عن قوم شعيب عليه السلام يتهكمون به وبصلاته . فقد نزلوا السفه والغى منزلة الحلم والرشد قصداً للتهكم فشبهوا السفه والغى بالحلم والرشد ، واستعير كل من المصدرين المشبه بهما المشبهين ، واشتق من الأول حليم بمعنى سفيه ومن الثانى رشيد بمعنى غوى .

مثله قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

قرينا كم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

القرى : إطعام الضيف وهو لا يقع على المرداة ، لأن المرداة : الصخرة التى يكسر بها الصخور . والمرداة : الصخرة التى يرمى بها . والردى : الرمى . والفعل ردى يردى . وإطعام الضيف لا يكون بآلة الحرب والهلاك ، فالاستعارة تهكمية بتنزيل طحن المحارب بآلة الحرب منزلة التحية بالإطعام . بجامع التناسب .

ولم يتعرض ابن فارس للاستعارة التملحية كقولهم للأسود يا أبيض إذا أراد التملح . ولكن رغم هذا فإنه واصل طريق السابقين فى علم البلاغة العربية وأضاف أمثلة فى ألوانه .

## « الاستعارة بالكناية أو الإعارة »

فى أمثلة قليلة وبتسمية واضحة قريبة جداً من الاستعمال الحالى . وضعنى فى تفكير وتساؤل ما الفرق بين ما أسماه استعارة وما يسميه هنا إعارة .

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٤٥٠ .

هل إطلاق الكلمة ذات السين والتاء لما نقل فيه المشبه به بكامله .

وكلمة إعارة لأنها تدل على النقل فقد وضعها على هذه الأمثلة ، ولما لاحظ أن المستعار فيها لازم فقط حذف منها الحرفين السين والتاء لكون زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . . ؟

لو كانت هذه وجهته لكان دليل فهم عميق . وشفافية وإحساس أصيل . فما ذكره المتأخرون فى الاستعارة بالكناية على أن المشبه به محذوف ويذكر لازم يدل على المشبه به .

ولكن بالنظر فى تعريفه بالإعارة نجد هذا التعريف ينطبق على الإستعارة التخييليـة . .

تعريف الإعارة عند ابن فارس .

أن تعير الشىء ما ليس له (١) .

والواضح أن المثبت لما ليس هو اللازم الخاص بالمشبه به المضاف للمشبه أما المشبه به فمحذوف وأمثلته توضح أن المقصود بالإعارة هى التخييلية وكأنه ينظر بعين الارتباط عنده من قرن الاستعارة المكنية بالتخييلية وإن كان هذا يخالف رأى الجمهور والزمخشرى .

يقول : العرب تعير الشىء ما ليس له فيقولون : مر بين سمع الأرض وبصرها ويقول قائلهم :

كذلك فعله والناس طردا  بكف الدهر تقتلهم ضروبا (٢)

---

( ١ و ٢ ) الصاحبى ص ٤٢٣ .

فجعل للدهر كفاً . . . والدهر ان يكون له كف ولكن شبه الدهر بإنسان له كف وحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الكف . . وإضافة الكف إلى الدهر استعارة تخييلية .

الاستعارة التمثيلية التصريحية :

يذكر هذا اللون تحت باب القول فى أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها .

قال يقولون : رفع عقيرته أى صوته [١] وأصل ذلك أن رجلا عقرت رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته . فقيل بعد لكل من رفع صوته . رفع عقيرته ، وهذه الاستعارة المركبة تكشف عن مضرب المثل ومورد المثل واستعارة الصورة المركبة من مكانها الأصلى إلى ما يشابهها .

المجاز المرسل :

هو كما استقر فى البلاغة العربية .

هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة غير المبالغة [٢] فى المشابهة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقى للفظ المنقول . وهذه التسمية لم يصرح بها ابن فارس لأنها لم تظهر إلا عند السكاكى فى مفتاح العلوم .

تحدث ابن فارس عن العلاقات التى تناسب هذا اللون . ومنها .

الجزئية : وهى تسمية الشيء باسم جزئه . ذكر تحت عنوان بعض الشيء .

---

( ١ ) الصاحبى ٤٣٣ .

( ٢ ) الصاحبى ص ١١٢ .

وهم يريدون كله . قال ومن سنن العرب الاقتصار على ذكر بعض الشيء وهم يريدون كله [١] قعد على صدر راحلته ومضى .

ويقول قائلهم :

الواطئين على صدور نعالهم .

وذكر بعض أهل اللغة فى هذا الباب قول لبيد :

أو يرتبط بعض النفوس حمامها . وإنه أراد كلا .

ومن الباب قوله تعالى ( ويحذركم الله نفسه [٢] ) أى إياه . ومنه قوله :

يوما بأجود نائلا منه إذا نفس البخيل تجهمت سؤالها

ومنه ( ويبقى وجه ربك [٣] . ومنه تواضعت سور المدينة . .

المجاورة والسببية :

وضع ابن فارس العلاقتين تحت عنوان واحد وذكر لهما أمثلة واحدة ثم أطلقها ، وكأنه أدرك ما أظهره أهل التحقيق فيما بعد من المتأخرين وغيرهم فى مسائل هذا الباب حيث أخبروا أن فروق العلاقات دقيقة بل بينها أشباه كثيرة تسوغ استعمال المثال الواحد فى أكثر من علاقة . ومرجع ذلك هو إدراك المتأمل للكلام .

يقول ابن فارس (باب الأسماء التى تسمى بها الأشخاص على المجاورة والسبب [٥])

---

( ١ ) الصاحبى ص ٤٢١ .

( ٢ ) من سورة المائدة رقم ١١٦ .

( ٣ ) من سورة الرحمن /٢٧ .

( ٤ ) عروس الأفراح ج ٤ ص ٩٣٢

( ٥ ) الصاحبى ص ١١٠ .

العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً أو كان منه بسبب وذلك قولهم : التيمم لمسح الوجه من الصعيد وإنما التيمم الطلب والقصد . يقال تيممتك وتأممتك أى قصدتك وإذا كان هذا الأصل قد سجله ابن قتيبة (١) ، ولكن ابن فارس توسع فى التحليل وكثرة الأمثلة .

وأخرج هذا الباب من الإستعارة التى تناول فيها ابن قتيبة هذا اللون . غير أنه لم يضم كل إلف إلى أليفه .

ومن ذلك تسميتهم السحاب .. سماء .. والمطر .. سماء .. وتجاوزوا فى ذلك إلى أن سموا الغيث سماء وكأنه يشير إلى ما يسمى عند المحدثين بمجاز المجاز أو المجاز كثير الوسائط ومن ذلك قول معارية بن مالك :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا (٢)

والشاعر هنا فى مقام الفخر فقد وصف رياستهم بالإنتهاء والغلبة حتى إنهم يرعون كلأ الناس من غير رضاهم . والسماء فى البيت أطلق على الغيث مجازاً مرسلا علاقته المحلية أو المجاورة والقرينة هنا لفظ نزل .

والضمير فى قوله « رعيناه » العائد على الغيث مريداً منه النبات لأن الغيث سبب فى النبات والقرينة . رعيناه .

ومرة أخرى ننظر بعين التأمل ونقول إن فى البيت استخداما . حيث أراد من السماء المطر وأراد من الضمير الراجع عليه فى « رعيناه » .. النبات . فالشاعر أراد بلفظ السماء معنى ثم أعاد عليه الضمير مريداً منه معنى آخر غير ما عناه الأسم الظاهر .. والنكات البلاغية لا تتعارض .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٢ (٢) المفضليات ص ٣٥٩ .

وربما سموا الشحم - ندى - لأن الشحم عن النبت والنبت عن الندى قال ابن أحمر :

كثور القراب الفرد يضربه الندى تعلى الندى فى متنه ونحورا (١)

القراب بالفتح ما استوق من الرمل وجاء فى اللسان ، قال القتيبى : الندى : المطر والبلل . وقيل النبت ندى لأنه عن ندى المطر نبت ثم قيل للشحم ندى لأنه عن ندى النبت يكون واحتج بقول عمرو بن أحمر . كثور

أراى بالندى الأول : الغيث والمطر . وبالندى الثانى الشحم .
فعبر عن الشحم بلفظ الندى . . لأن المطر سبب فى الكلأ والنبات والنبات سبب فى الشحم الناتج من الأكل .

فالندى الثانى مجاز مرسل عبر عن المسبب بالسبب عبر بالندى عن الشحم.
ومنه قوله تعالى « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » (٢) . ويوضح ابن فارس العلاقة بقوله . وإنما جل شأنه يقول أنزل لأن الانعام لا تقوم إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء

والله عز وجل ينزل الماء من السماء . . فالعلاقة هنا السببية (٣) .

---

(١) لسان العرب حافظ ندى ، (٢) من سورة الزمر رقم /٦
(٣) ويجوز أن يفسر أنزل بمعنى قسم وقضى فإنزالها مجاز عن القضاء والقسمة فإنه تعالى إذا قضى وقسم أثبت ذلك فى اللوح المحفوظ وتزلت به الملائكة الموكلة بإظهاره فى العالم السفلى فى قوله أنزل استعارة تبعيه لتشبيه القضاء بالنزول ووجه الشبه الظهور بعد الخفاء . فالآية تحتمل أن تكون من الإستعارة أو من المجاز المرسل راجع حاشية الشهاب جـ ٧ ص ٣٢٨ .

ومثله قوله عز وجل : قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشا )[١]. وهو جل ثناؤه إنما أنزل الماء لكن اللباس من القطن . والقطن لا يكون إلا بالماء .

قال أبو عبيدة : ( الرياش والريش واحد )[٢] وهو ما ظهر من اللباس والشارة وبعضهم يقول أعطانى رجلا بريشه أى بكسوته وجهازه . وكذلك السرج بريشه . والرياش الخصب والمعاش .

وإذا كان العلماء ينسبون كشف هذا المجاز فى هذه الآية فان أبا عبيدة قد كشف المجاز الذى علاقته المجاورة فى قوله تعالى ( وأرسلنا السماء عليهم مدراراً )[٣] . قال مجاز السماء ها هنا مجاز المطر يقال ما زلنا فى سماء أى فى مطر . وما زلنا نطأ السماء أثر المطر . وأتى أخذتكم هذه السماء ومجاز أرسلنا أنزلنا وأمطرنا . وفى « أنزلنا لباساً » : نقل اللباس للغزل ثم منه للزرع ثم منه للماء مع الإستعمال فى الأخير والعلاقة المسببية والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته[٤] . أى أنزلنا عليكم لباسين لباساً يوارى سوآتكم . ولباساً يزينكم لأن الزينة غرض صحيح

ومنه قوله تعالى : ( وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا )[٥] إنما أرادوا والله أعلم الشىء ينكح به من مهر ونفقة وما لابد للمتزوج به منه ، ومعنى الآية والله أعلم . وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون أسباب النكاح فعبر عنه

---

(١) من سورة الأعراف رقم ص ٢٦

(٢) مجاز القرآن ج ١ ص ٢١٣

(٣) من سورة الأنعام رقم / ٦ مجاز القرآن ج ١ ص ١٨٦

(٤) تلخيص البيان ص ١٤٤ الكشاف ١ ص ٣٢٢ ط النهضة

(٥) من سورة النور رقم ٣٣

النكاح وأراد سببه أو أراد بالنكاح ما ينكح به فقال يكون صفة بمعنى مفعول كـكتاب بمعنى مكتوب واسم آلة كركاب لما يركب به[١] ، أو أراد بالوجدان التمكن منه وهو مجاز أو كناية كقوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

ومما يدخل فى المجاز المرسل تحت علاقة السببية قوله[٢] : ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظة . نحو ( إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم )[٣] أى يجازيهم جزاء الاستهزاء ( ومكروا ومكر الله )[٤] ، ومثله ( يسخرون منهم سخر الله منهم )[٥] وأيضا ( نسوا الله فنسيهم )[٦] ومثله ، ( وجزاء سيئة سيئة مثلها )[٧] ومثل هذا :

قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وفى هذه الأمثلة عبر عن الجزاء والعقاب بلفظ الذنب السابق لأنه سبب فى الثانى .

---

(١) حاشية الشهاب جـ ٦ ص ٣٧٦ .

(٢) الصاحبى ص ٣٨٥

(٣) من سورة البقرة رقم ١٤ - ١٥

(٤) من آل عمران ٥٤

(٥) من سورة التوبة ٧٩

(٦) « « « ٦٧

(٧) الشورى ٤٠

والبيت الأول الذى مثل به ابن فارس وهو قول الأعشى :

الواطئين على صدور نعالهم  يحشون فى الدفين والأبراد

فقال على صدور نعالهم وهم لا يطئون على صدور النعال دون الأعقاب وإنما أراد أنهم يلبسون النعال ولا يمشون حفاة ، فهم ملوك وليسوا برعاء . والدفين . الثياب المخططة .

ويمثل أيضا بقول لبيد ويذكر أن أهل اللغة قالوا ذلك فى بعض . . . ويقصد ابن فارس فى ذلك أبا عبيدة(١) فى إشارته بمثلا بهذا البيت ، وهو :

تراك أمكنة إذا لم أرضها  أو يعتلق بعض النفوس حمامها

ومعنى ذلك يقول لبيد إنى تراك أماكن(٢) إذا لم أرضها إلا أن يرتبط نفسى حمامها فلا يمكنها البراح .

ولكنه أراد ببعض النفوس هنا نفسه . هذا أوجه الأقوال وأحسنها ، ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس فقد أخطأ لأن بعضا لا يفيد العموم والإستيعاب ، والمعنى إنى لا أترك الأماكن التى أجتوبها وأقليها إلا أن أموت .

ومنه قول جرير يهجو ابن جرموز :

---

(١) مجاز القرآن جـ ١ ص ٩٤

(٢) شرح المعلقات السبع ص ١٥٢

لما أتى خبر الزبير تواضعت      سور المدينة والجبال الخشع[1]

وابن جرموز من رهط الفرزدق وقد قتل الزبير بن العوام غيلة بعد انصرافه من موقعة الجمل .

يقول : لما وافى خبر قتل الزبير إلى مدينة الرسول عليه السلام تواضعت هي وجبالها وخشعت حزناً له .. والسور حائط المدينة وهو مذكر ولكنه أنثه لأنه بعض المدينة فعبر عن الكل بالجزء ، وفى تسمية الجبال بالخشع : تسمية بما صارت إليه كما فى قوله تعالى ( إنى أرانى أعصر خمرا ) .

وفى قوله تعالى : ( ويبقى وجه ربك )[2] أى ذاته . عبر عن الوجه عن نفس الشيء وذاته أو عن جملة الشخص تعبيراً عن الكل بأشرف الأجزاء .

وينظر البيضاوى نظرة أخرى فى الوجه بقوله « ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية فى حد ذاتها إلا وجه الله أى الوجه الذى يلى جهته .

فالوجه هنا ليس بمعنى الجارحة مجازاً عن الذات[3] بل بمعنى الجهة التى تقصد ويتوجه إليها فإنه موضوع لهذا لغة أيضا لا بمعنى القصد والمراد المقصود .

---

(١) ديوان جرير ص ٣٤٥ الكتاب لسيبويه ج ١ ص ٢٥ ط الهيئة العامة تحقيق عبد السلام هرون .

(٢) من سورة الرحمن رقم ٢٧ ـ حاشية الشهاب ج ٣ ص ١٤

(٣) حاشية الشهاب ج ٨ ص ١٢٤

## صلة التعلق الإشتقاقى :

وضع ابن فارس هذه العلاقة تحت باب سماه التعويض .

ولهذه العلاقة أقسام كثيرة ذكرت فى الرسالة البيانية . قال ابن فارس ومن سنن العرب التعويض[١] .

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الأمر . كقوله جل ثناؤه : ( فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون )[٢] .

والسبحة : الصلاة . يقولون : سبح سبحه الضحى ، وتأويل الآية سبحوا لله جل ثناؤه . فصار فى معنى الأمر والإغراء .

ومن ذلك إقامة الفاعلى مقام المصدر يقولون : قم قائما ، وفى كتاب الله عز وجل ( ليس لوقعتها كاذبة )[١] أى تكذيب .

ومن ذلك إقامه المفعول مقام المصدر كقوله جل ثناؤه ( بأيكم المفتون)[٢] أى الفتنة .

تقول العرب : ماله معقول ، وحالف لخلوفه بالله ، وجهد مجهوده ، ويقولون ماله معقول ولا مجلود يريدون العقل والجلد .

وقال الأخطل :

من اللواتى إذا لانت عريكتها  يبقى لها بعد آل ومجلود

---

(١) الصاحبى ص ٩٣٤

(٢) من سورة الواقعة رقم ٢

العريكة : الطبيعة . يقال فلان لين العريكة إذ كان سلساً مطاوعا منقاداً قليل الخلاف والنفور وشديد العريكة إذا كان شديد النفس أبياً . وقول الأخطل قيل فى تفسيره (١) ، عريكتها : قوتها وشدتها . ويجوز أن تكون مما تقدم لأنها إذا جهدت وأعيت لانت عريكتها وانقادت .

وبجلود . بمعنى الجلد . والجلد : الصلابة والجلادة .

ومن ذلك إقامة المصدر مقام الفعل يقولون لقيت زيداً وتيله كذا . أى يقول كذا .

قال كعب بن زهير :

يسعى الوشاة حواليها وقيلهم ... إنك يابن أبى سلمى لمقتول

تأويله يقولون ولذلك نصب .

ومن ذلك وضعهم فعيلا فى موضع مفعل ، نحو « أمر حكيم » بمعنى محكم ووضعهم فعيلا فى موضع مفعل نحو عذاب أليم بمعنى مؤلم .

وقال عمرو بن معد يكرب :

أمن ريحانة الداعى السميع ... يؤرقنى وأصحابى هجوع

فالسميع بمعنى مسمع .

وقد أشار إلى هذا أبو عبيدة عند قوله عز وجل ( حتى يروا العذاب الأليم ) (٢) . قال مجازه المؤلم ، وزعانه أخت عمرو بن معد يكرب ، وكان الصمة أغار عليها وذهب بها .

---

(١) لسان العرب مادة عرك .

(٢) من سورة يونس رقم ٩٧ مجاز القرآن جـ ١ صـ ٢٨٢ .

وفى هذه الأمثلة مواطن صالحة لتخريجها فى المجاز العقلى وهذا لا يتنافى مع تعدد الألوان البلاغية .

## المجاز فى الحروف

إن موضوع المجاز فى الحروف لمن أدق الموضوعات وأجدرها بالبحث المتروى ، وقد ضرب العلامة ابن فارس بسهم وافر ، فتتبعه بحثاً وتقريراً ، وإن كان لم يقتصر على الناحية المجازية ، لذا فقد وجدت هذا الموضوع يستحق العناية البالغة فأفردته بالبحث المستقل ولكونه يتشعب كثيراً فى دروب البيان وطرقه المختلفة ، فمرة يأتى بطريق المجاز التشبيهى أو المجاز المرسل أو التضمين أو يدخل عن طريق مجاز المبالغة بالحذف أو الزيادة أو يأتى بطريق مشترك وقد كثر كلام العلماء فيه كثرة دلت على تعدد أطرافه وكثرة زواياه وأهميته .

ويؤيد ذلك ويؤكده قول العلامة العلوى فى نيابة حرف عن حرف : وهذه لطائف دقيقة وأسرار غامضة يدريها من ضرب فى هذه الصناعة بعرق وظفر فيها بخط ، وأيضاً الحروف لا تستقل بمعناها ، ولكن تتبع الإسم تارة وتتعلق بالفعل أخرى ، فكانت لها أهميتها فى ذاتها كـكلمة ، وأخرى باعتبار ما تبعت وتعلقت .

ولما تناولت الحروف فى كتاب الصاحبى من دخولها فى علم البيان ومدى دلالتها على وجود هذا العلم عنده فقد لاحظت ما يلى :

١ - بدأ حديثه كما يدل عليه العنوان بالمفردات البسيطة أو الحرف المفرد مثل الباء والتاء ، وتعرض لخصوصياتها المختلفة ، وانتهى بها حسب الترتيب المجانى من ألفها إلى يائها .

٢ - ثم أفرد باباً للقول على الحروف المفردة الدالة على معنى أدخل فيها الأفعال التى بقيت على حرف واحد وهذا تسامح - ثم حروف فواتح السور - وإن كنا نتسامح معه حيث ذكر فى الحروف المفردة وسماتها التى لا تتصل بمعنى البناء فى الكلام ذكر فيها معانى كان هذا القسم أولى بها .

٣ - ثم تحدث فى باب ثالث فى الحروف المركبة من أكثر من حرف وهى دالة على معنى ، ثم ذكر خصائصها المختلفة باعتبارات متعددة . ومن التسامح أيضاً أن يذكر أفعالا كعسى وأسماء كذو تحت هذا العنوان الخاص بالحروف .

ونلتمس له أنها جميعاً مابنيت إلا لشبهها بالحرف ، هذا وقد لاحظت ظهور الأثر النحوى ، والتصريفى اللغوى على الكتاب فأصابنى ذلك منه فقسمت بحث الحروف بالطريقة النحوية ، وتناولت نماذج :

من حروف الجر　　من حروف العطف　　من حروف الطلب

أولا من حروف الجر : الباء .

قال ابن فارس : والباء تكون للإلصاق . قلت وهو قول سيبويه واقتصر عليه وقد تتبادر معانى أخرى كالمصاحبة والاستعانة (١) .

والإلصاق معناه : اختلاط الشىء بالشىء ويكون حقيقة وهو الأكثر (٢) ويكون مجازاً ، وقد نقل الانبارى على الرسالة البيانية بأن سيبويه قال . إن المعنى الحقيقى لها هو الإلصاق ، والمفهوم من الإلصاق عند الإطلاق هو الإلصاق

---

(١) الصاحبى ص ١٣٢ .

(٢) البرهان للزركشى ج ٤ ص ٢٥٢ .

الحقيقى فكلامه يقتضى أنها فى الإلصاق المجازى مجاز ، وهو صريح كلام العلامة أبى سعيد الخادمى فى مبحث البيان من رسالته مثلا المرور فى المكان القريب من زيد فيه إلصاق المرور (١) بالمكان حقيقة وإلصاق له بزيد مجازاً من حيث لفظ إلصاق ، فإذا قلت فى هذه الصورة مررت بالمكان القريب من زيد كانت الباء حقيقة ، وإذا قلت مررت بزيد كانت مجازاً لأن حقيقتها الإلصاق الحقيقى .

وهذا الأمر صرح به شيخ الإسلام فى الإشارة إلى الإيجاز فى قوله إلصاق المعنى بالجرم كقولك لطفت بزيد وهو من مجاز التشبيه ، وإلصاق المعنى بالمعنى كقوله النفس بالنفس (٢) .

وتكون الباء للاعتمال نحو كتبت بالقلم ، وضربت بالسيف ، فهى للاستعانة . قال وذكر ناس أن هذه والتى قبلها سواء . قلت هو الرأى القائل بكونها حقيقية فى الاستعانة وهو مرجوح ، وكذلك لم يرتضيه ابن فارس لكونه أورده تبعاً ، وتكون واقعة موقع عن . ومنه قوله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع (٣) ﴾ .

وزعم البصريون أنها لا تكون بمعنى «عن» أصلا وهو باطل .

وتكون واقعة موقع من نحو ﴿ عيناً يشرب بها عباد الله (٤) ﴾ أى منها قول عنترة (٥) :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت     زوراء تنفر عن حياض الديلم

---

(١) حاشية الانبابى على الرسالة البيانية جـ ٣ .

(٢) الاشارة إلى الايجاز صـ ٢٥ .

(٣) من سورة المعارج ١ .

(٤) من سورة الانسان/ ٦ .     (٥) شرح المعلقات السبع صـ ٢٠٢ .

والدحرضان ما آن يقال لأحدهما وشيع وللآخر الدحرض فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر ، وإنما يغلبون فى مثل هذا الأشهر أو الأخف لفظاً . والديلم هم الأعداء ، والمعنى شربت هذه الناقة من مياه هذا الموضع فأصبحت حائلة نافرة عن مياه الأعداء ، وقيل فى شربن مضمن معنى روين ويصح ذلك فى ( يشرب بها ) المعنى يشرب بها الخمر كما تقول : شربت الماء بالعسل [١] .

وتكون للمصاحبة نحو قوله ( وقد دخلوا بالكفر [٢] )

وتكون فى موضع فى نحو قول الأعشى :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالى فهل ترد سؤالى

فهل تفيد معنى النظر فيه هنا على سبيل المجاز .

وتكون الباء فى موضع على . . نحو قوله .

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

قال فى اللسان هو لغاوى بن ظالم السلمى وكان سادن [٣] صنم بنى سليم الذى يقال له سواع : فرأى ثعلبين يبولان عليه فقال هذا البيت ، فأراد على رأسه .

وقد يكون المعنى هنا للإلصاق الحقيقى بذكر نظيره عند حديث الأخفش عن الإلصاق والاستعلاء أن المعنى فى مررت بزيد مررت على زيد بدليل ( وإنكم لتمرون عليهم مصبحين [٤] وبالليل . . . ) فالمعنيان حقيقيان

---

( ١ ) الكشاف جـ ٣ ص ٥١١ .

( ٢ ) سورة المائدة رقم ٦١ .

( ٣ ) لسان العرب مادة ثعلب .

( ٤ ) من سورة الصافات رقم ١٣٧ المغنى جـ ١ ص ٨٨ وما بعدها .

ومتساويان إلا أن المختار ما رآه صاحب المغنى حيث قال « إن كلا من الإلصاق والاستعلاء يكون حقيقياً إذا كان مفضيا لنفس المجرور كأمسكت بزيد، وصعدت على السطح ، فإن أفضى إلى ما يقرب منه كان مجازاً كمررت بزيد .

وتكون للبدل أو العوض نحو قولهم هذا بذاك ، وهما بمعنى واحد . غير أن ابن هشام قد فصل فجعل المثال من العوض أى المتروك ، وناظره بمثل اشتريته بألف ، ثم مثل الآخر بقوله :

فليت لى بهم قوما إذا ركبوا  شنوا الإغارة فرسانا وركبانا

وتكون للتعدية : قال ذهبت به ، بمعنى أذهبته ، وقوله جل شأنه ( أسرى بعبده ) ليس من ذا لأن سرى وأسرى واحد . نلت وهى منه دقيقة قال فى المغنى : ولأن الهمزة والباء متعاقبان لم يجز أقمت بزيد ، وأما نبت بالدهن (١) ، فيمن ضم أوله وكسر ثالثه فخرج على زيادة الباء .

وتكون للسبب : نحو ( والذين هم به مشركون (٢) ) . أى من أجله ، وهناك فرق بين التى للسبب والتى للعوض . قال صاحب المغنى ممثلا لباء العوض ( أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون (٣) ) وإنما لم نقررها باء السببية كما قالت المعتزلة ، وكما قال الجميع فى : ( لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ) لأن المعطى بعوض قد يعطى مجاناً ، وأما المسبب فلا يوجد بدون سبب » .

---

( ١ ) من سورة المؤمنين رقم ٢٠ البرهان ج ٤ ص ٢٥٥ .

( ٢ ) من سورة النحل / ١٠٠ .

( ٣ ) المغنى ص ٩٠ وما بعدها .

وتكون دالة على نفس المخبر عنه والظاهر أنها لغيره وذلك فى باب التجريد نحو لقيت بفلان كريماً .

وقد أدرجها ابن هشام فى الى للسببية وقال لقيت بزيد الأسد ، قلت والأولى استقلالها .

وتكون الباء زائدة نحو . هززت برأسى[1] ، وهى تفيد التوكيد وتعد حينئذ من المجاز المسمى بالتوسع على طريق الزيادة وهى زيادة قياسية فى المفعول وقد وردت هذه الزيادة فى مواضع قياسية عدها ابن هشام فى ستة مواضع وذكر صاحبنا منها زيادة الباء فى خبر ليس .

وتكون الباء للإبتداء نحو قولك « باسم الله » المعنى أبدأ باسم الله . وتكون الباء - للقسم - نحو أقسم بالله ثم يحذف أقسم فيقال ( بالله ) وقال ابن هشام وتختص بالضمير عند القسم ومنها نوع يسمى القسم الاستعطافى . ولعلها هنا حقيقة أو من المشترك اللفظى .

ويقول ابن هشام ومذهب البصريين أن أحرف الجار[2] ، لا ينوب بعضها عن بعض ، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك . وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل فى ولأصلبنكم فى[3] جذوع النخل إن فى ليست بمعنى على ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال فى الشىء وإما على تضمن الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف .

---

(١) الصاحبى ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) المغنى جـ ١ ص ٩٥ .

(٣) من سورة طه رقم ٧١ .

وإما على شذوذ نيابة كلمة عن كلمة أخرى وهذا الأخير هو محل الباب عند الكوفيين وبعض المتأخرين ولا يجعلون ذلك شاذاً وهو أقل تعسفاً.

ومن هذا يتضح أن ما تقدم هو أوجز كلام يقال فى هذا الموضوع فعند التخريج يحتمل المثال الحقيقة على الاشتراك أو النيابة بغير شذوذ عند الكوفيين أو المجاز على التضمين أو المشابهة عن طريق التبعية أو المكنية أو المجاز المرسل لعلاقة الإطلاق والتقييد لذلك فقد آثرت الإشارة والتلميح وأوجزت الإستقصاء والتفصيل لموضعه الذى يتحمله بإذن الله.

التـــاء :

وهى من حروف القسم تختص باسم الله تعالى وتفيد التعجب وربما استعملت فى رب قليلا سمع ترب. وترب الكعبة، وتالرحمن.

فتجعل فى اسم الله حقيقة ولم يذكر ابن فارس غيره لكنه قال، قالوا هى[1] عوض عن الواو، ويوضح الزمخشرى ذلك عقب قول الله تعالى: وتالله لأكيدن أصنامكم، قال الباء أصل حرف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة معنى التعجب كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه مع عتو نمروز وقهره»[2].

قلت وهذا الكلام يحتاج إلى مناقشة هل هى نائبة عن أصل فتكون مجازاً، والمجاز فيها بطريق مجاز المجاز ويعرضنا ذلك لرأى الآمدى فى منعه

---

(١) الصاحبى ص ١٢٨.

(٢) الكشاف ج ٢ ص ٤٨.

لما فيه[١] من أخذ الشيء من غير ما اشتق ، وإذا خلصنا من ذلك واتفقنا على كونها مجازاً فأبن الحرف الحقيق الذى وضع ليختص باسم الله ويفيد التعجب . أو نعتبرها حقيقة وصفية فى ذلك وتخرج النيابة التى ذكرها كل من ابن فارس وابن هشام على مذهب الكوفيين من أنها نيابة حقيقية ، كما جا فى المغنى[٢].

الكاف :

حرف يفيد التشبيه فى الحقيقة وقد أخبر ابن فارس عن اسميتها فقال ، مررت بكالأسد أى بمثل الأسد وهو مقبول[٣]، وإن كنت أرجح أن تكون الباء جاره والمحذوف مررت برجل كالأسد ، ويعضد رأيه قول القائل .

فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني تارة وأمامي

فاستعملت عن اسماً بمعنى جانب بسبب دخول من قبلها[٤].

أما مجازها فقد جاءت للتعجب فقالوا : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة .

وجاءت فى مجاز الزيادة على رأى الأصوليين فى قوله تعالى « ليس كمثله شيء » ورفضه البيانيون واعتبروها أصلية .

اللام :

وهى تجيء فى مجاز الزيادة نحو قوله تعالى : « هم لربهم[٥] يرهبون » ونحو

---

(١) حاشية الانبابى على الرسالة ص ٦ .
(٢) المغنى جـ ١ ص ٩٥
(٣) الصباحى ص ١٤٤
(٤) المغنى جـ ١ ص ١٢١
(٥) سورة الأعراف ١٥٤

الرؤيا[١] تعبرون وتجيء في المجاز الاصطلاحي لعدة أحوال وهذه المعاني حقيقة ومجاز ويمكن رد بعضها إلى بعض أما المعاني الحقيقية فهي ما يمكن رده إلى واحد وهو الملك فقد ذكر فيما سمي بالإختصاص والاستحقاق، والملك كذا التمليك وشبه التمليك، وذكر ابن هشام تعليلا طريفا بقوله: لئلا يستعمل المشترك في معنييه عندما نقول المال لزيد وللمسجد[٢].

المعاني المجازية: عند ابن فارس: أن تكون موافقة في معناها لعند نحو قوله تعالى: «وأقم الصلاة لذكرى[٣]». و«لدلوك الشمس[٤]». أي عنده، أن تكون بمعنى، في نحو قوله تعالى: «لأول الحشر[٥]». ومنها أن تكون لمرور الوقت، نحو قول النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع

ومنه قولهم: غلام له سنه أي أنت عليه سنه

وتكون بمعنى - بعد - لقوله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، وتكون للعجب نحو قولهم لله درك، ويقولون يا للعجب معناه يا قوم تعالوا إلى العجب. وتكون للعاقبة نحو قوله جل ثناؤه (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا)[٦]، قال إنهم لم يلتقطوه لذلك كان صارت العاقبة ذلك.

---

(١) من سورة يوسف ٤٣

(٢) المغني جـ ١ صـ ١٦٢

(٣) سورة طه ١٤

(٤) سورة الاسراء ٧٨

(٥) سورة الحشر ٢

(٦) سورة القصص ٨

على :

ذكر لها ابن فارس أربعة[١] معان ثم قال وهى وإن انشعبت راجعة إلى أصل واحد ذلك هذا الأصل هو الإستعلاء وما يشبهه ويتصل به فقد ذكر أول مثال للإستعلاء الحسى نحو هو على السطح . ثم تلاه بما هو معنوى .

ولكن ابن هشام توسع فى معانيها التى هى غير الإستعلاء[٢] ، وفيها مجاز بالحذف نحو قوله تعالى : « ولكن لا تواعدوهن سراً[٣] » ، أى على سر أى نكاح وكذلك لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، أى على صراطك ، والزيادة نحو :

أبى الله إلا أن سرحة مالك  على كل أفنان العضاة تروق

أى تروق كل .

وشيخ الإسلام فى كتاب الإشارة[٤] أثبت أن المعنى الحقيقى فى المحسوسات وما ورد منه فى المعنوى فهو غير حقيقى لقوله : وحقيقتها استعلاء جرم على جرم ومثل « لتستووا على ظهوره[٥] » ، واستطرد ، ثم يتجوز بها على الثبوت والإستقرار كقوله : « أولئك على هدى من ربهم[٦] » ، وقلت : وعبارة ابن فارس لا تعين مجازاً ولا حقيقة حيث قال : وهى وإن انشعبت راجعة إلى أصل واحد .

ثانياً : من حروف العطف :

ثم : قال ابن فارس ثم تكون لتراخي الثانى عن الأول[٧] ، نحو جاء زيد ثم عمرو قلت : وهو يدل على أنها تفيد الترتيب لكون أحدهما أولا والآخر

---

(١) الصاحبى ص ٢٣٤  (٢) المغنى ج ٤ ص ١١٦-١١٧
(٣) سورة البقرة ٢٣٥  (٤) الاشارة لعز الدين ص ٢٣
(٥) سورة الزخرف ١٣  (٦) سورة البقرة ٥  (٧) الصاحبى ص ٢١٥

ثانياً ، وأيضاً التراخى قال : وتكون ثم بمعنى واو العطف قال الله جل ذكره « فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون[١] » أى وهو شهيد .

قلت وهذا يفيد أنها تكون لمطلق الجمع وهو حقيقة فى الواو فيكون مجازاً فيها ، ومن معانيها المجازية أنها تأتى عندما تتفاوت الرتب نحو « ثم يطمع أن أزيد[٢] » قال شيخ الإسلام ثم « وتستعمل حقيقة فى تراخى الزمان والمكان ثم يتجوز بها فى تراخى بعض الرتب عن بعض[٣] بالتباعد المعنوى تشبيها التراخى المعنوى بالتراخى الزمانى والمكانى ... وتأتى ثم فلا تفيد الترتيب أو التراخى أو الجمع بل هى من مجاز الزيادة .

مثالها قوله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت على أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم[٤] » فهو من مجاز الزيادة .

ثالثا : لام الأمر من حروف الطلب :

قال ابن فارس : والأمر عند العرب ما إذا لم يفعله[٥] المأمور به سمى عاصيا ويكون بلفظ افعل ، وليفعل .

واستطرد العلامة ابن فارس فى بحث ناضج ومتكامل فى علم المعانى ، قد دوناه فى علم المعانى ، ثم قال فى موضع آخر : وقالوا فى لام الأمر ، كان الأصل أذهب فلما سقطت الألف لم يوصل إلى الفعل إلا بلام لأن الساكن لا يبدأ به ومقاله لها ، ثم ليقضوا تفثهم[٦] وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله .

---

(١) سورة يونس ٤٦ (٢) سورة المدثر ١٥
(٣) الاشارة ٢٤ (٤) سورة التوبة ١١٨
(٥) الصاحبى ص ١٥٠ (٦) سورة الحج ٢٩

قال ابن هشام : وذهب الكوفيون وأبو الحسن [١] إلى أن اللام حذفت حذفا مطلقاً فى قم واقعد وأن الأصل لتقم ولتقعد فحذفت اللام للتخفيف وتبعها حرف المضارعة . وقال وبقولهم أقول لأن الأمر معنى حقه أن يؤدى بالحرف ولأنه أخو النهى ولم يدل عليه إلا بالحرف .

المجاز فى لام الأمر .

من الحديث المتقدم نخلص إلى أن كل فعل امر فيه مجاز مبالغة وأيضاً فإن معانى الأمر المجازية كالأمر والمراد التهديد، والأمر والمراد الخبر والأمر والمراد الإباحة

والمجاز فيها يحتمل أن يكون مرسلا لعلاقة اللزوم أو التسبب . . .

الملاحظ أنه قد يشترك حرف أو أكثر فى معنى واحد ولا فضل لأحدهما على الآخر فى هذا المعنى حتى يستقل به أو يجعل فيه أصلا ، كما تقدم فى دلالة الباء واللام على التعليل والى وحتى على الغاية والواو والباء على القسم .

وعن والباء على البدل . وإن كان يزيد بعض الحروف على بعض فى أداء هذا المعنى فهل يمكن أن نجعله من قبيل المترادف فمثلا : وضع العرب السيف والصارم والمهند فالأول معروف والثانى يدل عليه ويزيد بالإختصاص بالقطع والثالث يزيد بالإختصاص بكونه مصنوعاً فى الهند .

وذلك إما أن يرجع إلى تعدد الواضع كما فى البر والقمح أو أن الأول اسم غير وصف بخلاف الثانى وكلاهما حقيقى .

---

(١) المغنى جـ ١ صـ ١٧١ - ١٧٢ .

أما دلالة بعض الحروف على معنى تشترك فيه كمجيء إلى بمعنى مع فى نحو ( من أنصارى إلى الله ) ومجيء اللام بنفس المعنى فهذا غير مستغرب حيث إن الحروف وضعت للدلالة على معان مثل الظرفية والمصاحبة والأمر والنهى . . . ألخ .

فكون المعنى الواحد يدل عليه بعدة حروف إنما هو من قبيل المشترك ولا يمكن أن تصف واحداً منها بالإستقبال هذا مع إمكان تخريجها على طريق من طرق المجاز بالتضمين أو الإستعارة أو المجاز المرسل لكن الأولى هو هذا .

وهناك بعض الحروف تطلق على معنيين متضادين وتحدد القرينة والسياق المراد منهما مثل رب ، وقد فإنهما يدلان على التقليل والتكثير (١) .

ولانستطيع أن نقول إن أحدهما أصل والآخر فرع ، بدليل استقلال بعض العلماء بأن رب للتكثير فقط والبعض الآخر بأنها للتقليل فقط ومن قائل بأنهما لهما .

هذا إن دل فإنما يدل على دخولهما فى باب استعمال « ثب » بمعنى اجلس وبمعنى اقفز أى من المتضاد .

وبهذا انتهى إلى أن الحروف كما قال العلوى . « دقيقة لدخولها فى الحقيقة والمجاز ثم إن المجاز فيها من أوجه عديدة كما أن الحقيقة تأتى من قبيل المشترك والمترادف والمتضاد جميعاً .

## « الكناية »

حول الكناية عند ابن فارس :

(١) المغنى جـ ١ صـ ١١٥ المغنى جـ ١ صـ ١٣٨

تحدث العلامة ابن فارس عن الكناية : وهى من أضرب البيان الأصلية حديثا متفرقا جاء على صورتين :

الأولى : حديث عرض فيه أبواب بعيدة عن موضوع الكناية ولكنه نص على أمثلة فيها وذكرها باسم الكناية .

أو لم يصرح فيها باسم الكناية تدخل تحت هذا الباب كما فى باب ( نفى ضمنه إثبات ) (١) .

الثانية : حديث مقصود أصلا فى هذا الموضوع وقد ورد فى موضعين ،

الموضع الأول : سماه الإيماء والموضوع الثانى سماه الكناية .

تفصيل الصورة الأولى ، فى عدة صحائف وجدت أمثلة منصوصا على كونها كنايات منها قوله : فى « ذو » و ـ ذات ـ ذو ـ يدل على الملك ولايخفى أن الدليل كناية تقول « هو ذو النون » ، وقد يكون فى غير الملك أيضا بل يكون فى صفة من صفاته نحو قولك هو ذو كلام وذو عارضة .

كنى عن صفة البلاغة فى المثال الأول ، والثانى كنى عن القوة .

فى الملك قوله جل ثناؤه « ذو العرش المجيد » (٢) ، كناية عن الله جل ثناؤه ويصح أن تكون كناية عن نسبة ملكية العرش المجيد لله لأن ذا بمعنى صاحب .

---

( ١ ) الصاحبى ص ٤٠٥ .

( ٢ ) من سورة البروج رقم / ١٥ الصاحبى ص ٤٢٦ .

وقد أسند إلى صفة معينة لحدثت النسبة ومثل قولهم فى ذات قال : وأما ذات فتكون فى المؤنث كذا ويكون لها معان أخر فتكون كناية عن ساعة من يوم أو ليلة أو غير ذلك كقولك ذات يوم ، وذات عشية وهذه كناية عن موصوف قال وتكون كناية عن الحال كقوله :

وأهل خباء صالح ذات بينهم  قد احتربوا فى عاجل أنا آجله

ومعنى البيت أنه وصف تأريشه بين قوم مصطلحين وسعيه بينهم بالفساد حتى أوقعهم فى حرب وعاجل شر آجله عليهم أى حناه وأحدثه .

ومن هذا قوله جل ثناؤه : « وأصلحوا ذات بينكم »[1] ، أى الحال بينكم وأزيلوا المشاجرة .

ففى المثالين كناية عن صفة هى الصلة والمودة . .

وتكون للبنية تقول هو فى ذاته صالح أى فى بنيته وخلقته . وتكون الإرادة والنية :

كقوله تعالى : ( والله عليم بذات الصدور )[2] . أراد السرائر .

ومنها هذه النصوص أيضا ، قوله : امرأة ذات أوراك ومآكم »[3] .

وإن كان ذكر فى غرض إطلاق اللفظ للجمع والمراد المثنى لكن هذا المثال يحمل كناية عن صفة هى عظم المرأة فى خلقتها ، والمآكم جمع مأكمة[4] وهو العجيزة والمأكمتان ، اللحمتان اللتان على رءوس الوركين ، وحكى اللحيانى : إنه لعظيم المآكم كأنهم جعلوا كل جزء منه مأكما .

---

(١) من سورة الأنفال . ١  (٢) من سورة آل عمران ٣ التغابن ٦٤

(٣) الصاحبى ص ٢٥٧  (٤) لسان العرب مادة أكم .

وفى حديث أبى هريرة إذا صلى أحدكم فلا يجعل يده على مأكمته .

ومنها قوله فى باب الزيادة عند حديثه عن زيادة الأسماء قال : وأما المثل ففى قوله جل ثناؤه : ( فأتوا بسورة من مثله ) (١) ويقول قائلهم :

مثلى لا يخضع لمثلك . . أى أنا لا أخضع لك . .

قال الشاعر :

يا عاذلى دعنى من عذلك مثلى لا يقبل من مثلك

وقوله جل ثناؤه : ( وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله )(٢)

قلت : هو وإن لم يصرح بلفظ الكناية الإصطلاحى إلا أنه قد فسرها بما لا ينصرف إلا إليها ، حيث قال : لمثلك أى لك ، وقوله على مثله . أى عليه .

ولعل صنيعه هذا لكونه يدخر اسم الكناية ليضعها على ما يستتبع ذكره فقط كما سنشير إليه فى الفرق بين الإيماء والكناية وأغراض الكناية عنده .

ومنها أيضا حديثه عن الإستعارة قوله : « زالت رحالة سابح » كناية عن المرأة تستعصى على زوجها . قال الشماخ :

وكنت إذا زالت رحالة سابح شحت به حتى لقيت مثالها

---

(١) من سورة البقرة ٢٣

(٢) من سورة الأحقاف ، الصاحبى ص ٢٣٩

وكانت امرأته نشوت عليه ، ومعنى قول الشماخ : كنت أشمت بمن طلق امرأته فقد أتيت ذلك .

قلت : تلاحظ هنا أنه صرح بمصطلح الكناية بما يقوى رؤيتنا لنية التفريق - عنده - فى الكناية باعتبار الأغراض . فهنا لكون الكلام جاء عن المرأة قال إنها كناية . بخلاف ما تقدم عن « ذات ، وذو » مثل .

وما يأتى عندما يتحدث عن ألوان من الكناية ويطلق عليها إيماء ثم إنه ذكر أمثلة فى الإستعارة هنا وهى أقرب إلى الكناية إلى ما يكون لديه من التأول فمثلا ذكر قول العرب « انشقت عصاهم »[١] وهى كناية عن التفرق وقول الله تعالى ( والتفت الساق بالساق )[٢] كناية عن الشدة .

ومنها أيضا فى « باب نفى ضمنه إثبات »[٣] .

تقول العرب ليس بحلو ولا حامض . يريدون إنه جمع من ذا وذا .

وفى كتاب الله جل ثناؤه ( لا شرقية ولا غربية )[٤] قال أبو عبيدة مجازه لا بشرقية تضحى للشمس ولا تصيب ظلا ، ولا بغربية فى الظل ولا يصيبها الشرق ولكنها شرقية وغربية يصيبها الشرق والغرب[٥] وهو خير الشجر والنبات .

---

(١) الصاحبى ص ٢٣٤ - ٢٣٦

(٢) من سورة القيامة ٢٩

(٣) الصاحبى ص ٤٥٥

(٤) بعض آية من سورة النور رقم ٣٥

(٥) مجاز القرآن ج ٢ ص ٦٦

وهذا الكلام صريح بأن كل نفى من هذا يلزم عليه إثبات وهذا النفى هو دليله فهى كناية لم يذكرها باسمها . .

فالمثال الأول كنى به عن كون الطعم مزا ، والثانى كنى به عن كون الشجرة وسطى .

تفصيل الصورة الثانية :

حديثه المقصود عن الكناية فى موضعين : سمى الأول إيماء . . والثانى كناية ، وما يتعلق بهما مما يلى :

( أ ) أقسامها من حيث الوضوح والخفاء .

(ب) أقسامها من حيث المدلول عليه صفة أو موصوفا .

( حـ ) عدم وجود الكناية عن نسبه .

( د ) عدم تعرضه لمجازيتها وحقيقتها ، والمنتقل منه والكناية فى المركبات لازم الفائدة .

( هـ ) أغراض الكناية .

الموضع الأول : الإيماء :

تعريفه : أن تشير إلى المعنى إشارة وتومىء إيماء[1] دون التصريح .

تعريف الكناية عنده أيضا : أن يكنى عن شىء فيذكر بغير اسمه تحسينا

---

(١) الصاحبى ص ٤١٦ - ٤٢٩

اللفظ أو إكراماً المذكور . . قلت وقد عد الفعل بـ ( عن ) فيكون المعنى أن يخفى عن الشيء علامات الظهور والوضوح مبالغه فى الستر .

أمثلة الإيماء . قال يقول القائل : لو أن لى من يقبل مشورتى لأشرت وإنما يحث السامع السامع على قبول المشورة .

قلت هذا المثال يدل على الرغبة فى إظهار المشورة . وفى قوله : إنما يحث السامع إنما هو معنى زائد جاء من عرض اللفظ فهذه لغاية تعريضية . ومنه قول الشاعر .

إذا غرد المكاء فى غير روضة  فويل لأهل الشاء والحرات

المكاء بالضم والتشديد طائر فى ضرب القنبرة إلا أن فى جناحيه بلقاً ، سمى بذلك لأنه يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً [١] أوماً إلى الجدب ، وذلك أن المكاء يألف الرياض ، فإذا أجدبت سقط فى غير روضة . . وهى كناية عن صفة يقول إذا أجدب الزمان ولم يكن روضه يغرد فيها غرد فى غير روضة ، فويل لأهل الشاه والحرات لأنهم لا يستطيعون الإبعاد فى طلب النجعه ومواقع الغيث ، ومنه قول الأفوه :

إن بنى أودهم ما هم  للضرب أو للجدب عام الشموس [٢]

أوماً بقوله عام الشموس . إلى الجدب وقلة المطر والغيم أى أن كل أيامهم شموس بلا غيم ، ويقولون هو طويل نجاد السيف ، إنما يريدون طول الرجل قلت وهذا نوع من الكناية الواضحة غير الساذجة لأنها مشوبة بالتضرع

---

( ١ ) لسان العرب مادة ( مكا ) .

( ٢ ) الصاحبى ص ٤١٧

لم تستوف الصفة فاعلها . قال وغمر الرداء يومئون إلى الجود ، وهو واسع جيب الكم ، إيماء إلى البذل ، وطرب العنان ، إيماء إلى الخفة والرشاقة . وفى كتاب الله جل ثناؤه : ( وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين [١] ) ( وأعوذ بك رب أن يحضرون ) هذا ايماء إلى أن يصيبونى بسوء وذلك أن العرب تقول الان محضور : أى تصيبه الآفات .

قلت : واضح أن مما وصل إليه الباحثون من أسرار فى استعمال الأسلوب الكنائى هو أنه كدعوى أقيم عليها دليل وواضح أيضاً أن الإيماء نوع من الإشارة ، والإشارة فى الأصل للمحسوسات . وقول العلامه ابن فارس فى تعريف الإيماء أن تومىء إيماء . بهذا التوكيد إنما يدل على أن الغرض الاصلى فى هذه الأمثلة هو تقوية المعنى بالدليل وتوضيحه بالإيماء والإشارة إليه وقد عثرت فيه على مثال للكناية التعريضية ، والتعريض معنى زائد يفهم من عرض اللفظ ، كما أن الأمثلة التى أوردها هنا ليست كثيرة الوسائط وليست ساذجة .

بناء على ما تقدم يبدو لى أن ابن فارس بفصله الإيماء عن الكناية قد أوصلنا إلى أن الإيماء لديه ليس هو الكناية الواضحة فحسب ، وهو من وادى الكناية ولكنه يأتى بغرض التقوية وإقامة الدليل . كذلك لم يتعرض لأمثلة من الكناية كثيرة الوسائط مما يدل على أنها من تصنع المتأخرين وهم القائلون بأن الكناية الواحدة يمكن أن تكون كثيرة الوسائط أو قليلتها باعتبار ذكاء الناظر وذلك المقياس نفسه فى الكناية الواضحة والخفية .

الموضع الثانى : الكناية

وقد قسمها إلى قسمين فقال ( والكناية بابان ) وجعل أحد البابين الكناية

---

( ١ ) من سورة المؤمنون - رقم ٩٧-٩٨

الاصطلاحية فى علم البيان التى قصد بها تحسين اللفظ القبيح أو الإكرام والتعظيم . والآخر هو الضمائر النحوية ، والمشهور أن الكوفيين يسمون الضمائر كنايات ، ومن هذا التقسيم نؤكد على شيئين :

١ - إن ابن فارس تأثر تأثر شديداً بدراسة النحو لا سيما اتباع مذهب الكوفيين فأولع بالتقسيمات .

٢ - ان دراسته البيانية ليست خالصة ولكن الروح اللغوية تقوم فيها مقام الجوهر أو تزيد ، والذى يعنينا هو الإشارة إلى الباب الأول أى الكناية المعروفة بذكر اللفظ وإرادة لازم معناه مع إرادة المعنى الحقيقى إلا لمانع خارجى .

قال بعد تعريفها : وذلك كقوله عز وجل ( وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا [١] ) قالوا إن الجلود فى هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان .

وكذلك قوله جل ثناؤه ( ولكن لا تواعدوهن سراً [٢] ) إنه النكاح .

وكذلك قوله تعالى ( أو جاء أحد منكم من الغائط [٣] ) والغائط : مطمئن من والأرض كل هذا تحسين للفظ .

وهذه الكناية قد سبقه فيها الفراء ، وجعل الكناية فى الآية الأولى كناية عن موصوف وهو الذكر حيث قال : الجلد ها هنا والله أعلم [٤] الذكر . وهو ما كنى عنه ، كما قال ( ولكن لا تواعدوهن ) يريد النكاح ، وكما قال :

---

( ١ ) فصلت رقم ٢١ .

( ٢ ) من سورة البقرة ٢٢٥ .

( ٣ ) من سورة المائدة رقم ٦ .

( ٤ ) معانى القرآن ج ٣ ص ١٦ .

( أو جاء أحد منكم من الغائط ) والغائط الصحراء ، والمراد من ذلك أو قضى أحد منكم حاجة . . فهى كناية عن صفة ، وتحليل هذا عند الفراء أحسن وأوضح من تحليل ابن فارس

وهذه الكناية فى الآيات قد صرح بها أبو عبيدة [١] فى قوله تعالى ( لا تواعدوهن سراً ) الإفضاء بالنكاح . وفى قوله تعالى ( أو جاء أحد منكم من الغائط ) كناية عن إظهار لفظ قضاء الحاجة فى البطن . وكذلك قوله تعالى ( أو لامستم النساء ) كناية عن الغشيان .

والله جل ثناؤه كريم يكنى كما قال فى قصة عيسى وأمه عليها السلام (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه [٢] صديقة كانا يأكلان الطعام ) كناية عما لا بد لآكل الطعام منه ، وفى الكناية القرآنية فى قوله ( كانا يأكلان الطعام ) أدب ورقة تغنيك عن أن تسمع أذنك ، كانا يتبرزان ويتبولان ، وابن فارس أيضاً قابل الأدب بالأدب فى إظهار الكناية ، ولم يصرح بلفظ التبرز ، وفى حديثنا عن الكناية عند ابن فارس كشفت عن أغراض الكناية فى حديثه .

أولا : ما جاء فى الإيماء من ذكر الألفاظ التى توحى وتدل على غيرها لتدعم المعنى بإيجاد اللازم اعتماداً على وجود الملزوم .

ثانياً : تنزيه اللسان عن ذكر لفظ مستقبح أو ستر لفظ يدل على فعل ترغب النفوس عنه أو ترغب فى ستره .

ثالثاً : التعظيم أو إكرام المذكور ، قال والكناية التى للتبجيل قولهم

---

( ١ ) مجاز القرآن جـ ١ صـ ٧٥ ، ١٥٥ .

( ٢ ) من سورة المائدة رقم ٧٥ . الصاحبى صـ ٤٣٩ .

ـ أبو فلان ـ صيانة لإسمه عن الابتذال ، والكنى مما كان للعرب خصوصاً . ثم تشبه غيرهم بهم فى ذلك . قلت وهذا النوع الأخير مما نسميه بالكنية ، قد أنكره بهاء الدين السبكى ، وأخرجه من باب الكناية بحجة أنه نوع من أنواع العلم ، والعلم يدل على مسماه بغير واسطة .

قال السبكى ، وكذا الكنى التى هى أحد أنواع الأعلام [1] صرحوا بأنها كناية ، وفيه نظر لأن الكنية علم والعلم صريح فى مسماه فلا فرق بين دلالة أبى عبد الله ودلالة زيد العلمين عليه ، وإن كنت أميل إلى ضمه إلى الكناية لأن فيه خفاء وبعد عن اللفظ الظاهرى ، واشترك مع الكناية فى اللفظ ، وهو لا يدل مباشرة على المسمى بل على الإسم بدلالة أنه وضع بعده غالبا ، ثم يدل الإسم على المسمى .

وأغراض الكناية كثيرة جداً ، صرح بها الثعالبى فى كتابه [2] الكناية والتعريض حيث قال : فى الكنايات عما يستهجن ذكره ويستقبح نشره ، أو يستحيا من تسميته ، أو يتطير منه ، أو يسترفع ويصان عنه بألفاظ مقبولة تؤدى المعنى وتفصح عن المغزى .

هذه الفوائد أعاد ذكرها أحمد بن محمد الجرجانى ومن أجلها ألف كتاب ( المنتخب من كنايات الأدباء ) حيث قال : فمن فوائده التحرز عن ذكر الفواحش السخيفة بالكنايات اللطيفة ، كقوله تعالى ( وإذا مروا باللغو مروا كراما ) كفوا عن لفظه ولم يوردوه [3] .

ومنها ترك اللفظ المتطير من ذكره إلى ما هو أجمل منه ، كقولهم : لعق فلان إصبعه ، واستوفى أكله كناية عن الموت ، وكقولهم للمهلكة مفازة ، تفاؤلا

---

( ١ ) عروس الأفراح جـ ٤ ص ١٥١ .

( ٢ ) الكناية والتعريض لأبى منصور جـ ٣ . ط بيروت

( ٣ ) المنتخب من كنايات الأدباء جـ ٤ ـ ٥ .

لذكرها ، ومنها الكناية عن البضاعة الخسيسة بذكر منافعها ، كما قيل للحائك : ما صناعتك ؟ قال : زينة الأحياء وجهاز الموتى .

ومنها القصد إلى الذم بلفظ ظاهره المدح ، كقول العرب : أرانيه الله أغر محجلا أى : مقيدا .

ومنها الأمور الجارية بين البلغاء والأدباء ومداعباتهم بمعاريض لا يفطن لها البلغاء .

ومنها التوسع فى اللغات ، والتفنن فى الألفاظ والعبارات فيكنون عن الشيخ بقائد المعز وعن كثير السفر بخليفة الخضر ، وعن النمام بالزجاجة .

وان كان ابن فارس قد صرح برءوس هذه الأغراض لأنها وقعت موقع أهل البناء فى الكفاية فغيرها يعول عليها ، وسواها يعود إليها

التضمين : من الألوان التى تذكر فى علم البيان

هو مصدر ضمن ، وهذه المادة تدل على مطلق الإيداع والحل والدخول وقد استعملت فى العلوم العربية حقيقة عرفيه خاصة لعدة أبواب كلها ترجع إلى المعنى اللغوى الوصفى

هذه المادة (ا) استعملت فى علم العروض لتدل على بعض عيوب القافية حينما تتعلق قافية بيت فى المعنى بصدر البيت الذى يليه .

(ب) استعملت فى علم البديع لتدل على أن الشاعر ضمن كلامه شيئاً[1] من شعر الغير مصراعاً أو بيتاً مع التنبيه على ذلك إلا إذا كان مشهوراً فإن شهرته تكفى عن التنبيه عنه مثل قول الحريرى .

على أنى سأنشد عند بيعى أضاعونى وأى فتى أضاعوا

(جـ) التضمين النحوى : وهو إشراب كلمة[2] معنى كلمة أخرى بحيث

---

(١) الإيضاح للقزوينى ص ٤٢١

(٢) حاشية الانبابى على الرسالة البيانية ص ٢٠٦

تؤدى المعنيين وتعمل عمل التى بمعناها .

(د) التضمين البيانى : هو تقدير حال تناسب المعمول ، فاللفظ فيه مستعمل فى معناه الحقيقى والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف دل عليه بذكر ما هو من متعلقاته .

قال السيد فى حواشى الكشاف : وهو مقيس اتفاقا لأنه من حذف الفاعل لدليل نحو قوله : « لتكبروا الله على ما هداكم[1] » . أى حامدين على هدايتكم .

وله طرق فى الحذف فتارة يجعل المحذوف أصلا ، والمذكور مفعولا نحو أحد إليك فلانا أى أنهى حمده إليك .. أو حالا نحو « الذين يؤمنون بالغيب[2] » أى يعترفون به وقوله تعالى : ولا تأكلوا أموالهم[3] » أى لا تضموا أموالهم إلى أموالكم آكلين .

وذكر الشهاب الخفاجى فى حواشى البيضاوى أن طرق التضمين لا تنحصر[4] .

قلت وهو معدود من قبيل عموم المجاز أو التعريض أو غيره ، وقد جمع الصبان فى حواشيه على الأشمونى ، بين التضمين النحوى والبيانى : وهو ظاهر قول عز الدين بن عبد السلام حين عرفه أن تضمن اسما معنى اسم لإفادة

---

(١) سورة الحج ٣٧

(٢) سورة البقرة ٣

(٣) سورة النساء ٢

(٤) حاشية الشهاب ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢

معنى الإسمين[١] فيعديه تعديته فى بعض المواقع ، ثم ذكر الأمثلة وخرجها على الطريقة النحوية من حيث الغرض فى العمل والمعنى وعدم الإلتفات إلى المحذوف كما فى الرسالة البيانية .

أما صاحبنا ابن فارس فلم يفرد له بابا ولم يدخل المضايق التى دخلها المتأخرون ولكنى وجدت هذه الأمثلة التى تشير إشارة خفيه إليه فى صفحات متفرقة وقد وفيتها تحليلا حين ما عرضتها فى مواضعها المتفرقه لكنى أذكرها هنا لتكون دليلا على وجود هذا اللون لديه .

فى حديثه عن الباب ذكر الأمثلة ، سأل سائل بعذاب واقع[٢] ، وعينا يشرب بها[٣] !! أراد منها فى حديثه عن الحرف فى مثل : ولأصلبنكم فى جذوع النخل[٤] ، وأشار فى صراحة ، لأن الجذع المصلوب بمنزلة القبر للمقبور .

فى حديثه عن كان مثل إن كنت أبى فصلنى[٥] ومعناها إن صرت أبى ومثل أيضا بقول زهير:

أجزت إليه حرة أرحبية وقد كان لون الليل مثل الأرندج

أى صار : ومثل ، قلتم ما يكون لنا[٦] ، أى ما ينبغى ،

---

(١) الإشارة ص ٢٠ - ٢٤ ، ٥٤ ، ٨٠ .

(٢) سورة المعارج ١

(٣) سورة الإنسان ٦ الصاحبى ص ١٣٣

(٤) سورة طه ٧١ الصاحبى ص ٢٢٩

(٥) الصاحبى ص ٢٤٦

(٦) سورة النور ١٦

فى حديثه عن الحذف « من » مثل ـ على ـ ونصرناه من القوم[١] وهو واضح فى التضمين بمعنى منعناه : وقلت وهى إشارة لطيفة إلا أنها دليل .

قال الجلال السيوطى : فى الإتقان التغليب هو[٢] : إعطاء حكم الشىء حكم غيره والمراد إعطاؤه حكم غيره لترجيح ذلك الغير عليه ، وهو من الجمع بين الحقيقة والمجاز ، أما صاحب المطول فاعتبره مجازاً فقط واختلف فى علاقته أو نوع المجاز وذكره شيخ الإسلام تحت باب الجمع بين الحقيقة والمجاز ، فقال ومن الجمع[٣] بين المجاز والحقيقة التعبير بالأبوين عن الأب والأم وبالقمرين عن الشمس والقمر وبالعمرين عن أبى بكر وعمر . وله صور كثيرة .

فمنه تغليب الذكور على الإناث كقوله تعالى : وكانت من القانتين[٤] .

ومنه تقليب جانب المعنى على جانب اللفظ نحو قوله تعالى : بل أنتم قوم تجهلون[٥] .

ومنه تقليب أحد المتصاحبين كالقمرين ، والأبوين ، والحسنين .

ومنه تغليب الأكثر على الأقل من جنس واحد حين الوصف مختصا بالأكثر كقوله تعالى : « لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك[٦] من قريتك أو لتعودن فى ملتنا ، فذكروا شعيبا للعودة فى ملتهم بحكم التغليب .

---

(١) سورة الأنبياء ٧٧ الصاحبى ص ٢٧٣

(٢) الاتقان جـ ٣ ص ١٢٤ ط الهيئة

(٣) الاشارة ص ١١٥

(٤) سورة التحريم ١٢

(٥) سورة النحل ٥٥

(٦) سورة الأعراف ٨٨

وصور أخرى أنظر المطول : أما غرضه فهو الترجيح والترجيح للفضل[١] أو الخفة فى اللفظ أو للشهرة وطول المدة

قال السعد « وينبغى أن تغلب الأخف إلا إذا كان أحد اللفظين مذكرا فإنه يغلب على المؤنث »[٢] .

التغليب عند ابن فارس :

فى بابين كاملين فى الكتاب وقفت على أثر التغليب . أحد البابين صريح فيه ، والآخر يتضمن التغليب ولكنه أورده لغرض إرشاد على قاعدة أخرى وكل باب منهما يدل على صورة من صور التغليب التى استخرجها المتأخرون ، لكن الإختلاف من ناحيتين :

الأولى : وهى عدم نصه على أن التغليب من الحقيقة أو المجاز .

الثانية : أنه نص فى الباب الأول على أن المغلب هو الأشهر وذلك ليس مطردا .

أما البابان : ( ا ) باب الاسمين المصطحبين[٣] .

(ب) باب الخطاب : يأتى بلفظ المذكر ولم ينص فيه على ذكر الرجال فهو شامل للذكور والإناث .

---

(١) البرهان للزركشى جـ ٣ ص ٣١٢

(٢) المطول ص ١٥٨ - ١٦٠

(٣) الصاحبى ص ١٢٠

أمثلة الباب الأول :

قال الشاعر :

ألا من مبلغ الحرين عنى  مغلغلة وخص بها أبيا

وأحدهما هو الحر ، وأخوه أبى وهما أخوان وسميا باسم الأشهر ، وقائل هذا البيت هو المنخل اليشكرى[1] ، وسبب هذا الشعر أن المتجردة امرأة النعمان كانت تهوى المنخل اليشكرى وكان يأتيها إذا ركب النعمان فلاعبته يوماً بقيد جعلته فى رجله ورجلها فدخل عليهما النعمان وهما على تلك الحال فأخذ المنخل ودفعه إلى عكب اللخمى صاحب سجنه فتسلمه فجعل يطعن فى قفاه بالصملة وهى حربة كانت فى يده .

وكذلك الزهدمان . وهما زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن عوير .

وكذلك . الثعلبتان . والثعلبتان هما ثعلبة بن جدعاء بن ذهل ، وثعلبة ابن رومان .

وإن كانت هذه تثنية لعلمين كل واحد[2] منهما ثعلبة فلم يغلب اسم واحد على آخر .

قال : ويكون ذلك فى الألقاب كقولهم لقيس ومعاوية ابنى مالك ابن حنظلة « الكردوسان » .

---

(١) لسان العرب مادة حر .

(٢) « « « ثعلب .

ولعبس وذبيان : « الأجربان » قال : وذكر الأبواب بطولها يعنى الذى روى له هذه السنه عن الأصمعى قال : وإنما تذكر من كل شىء رسما لشهرته .

أمثلة الباب الثانى : وضعه تحت باب الخطاب يأتى بلفظ المذكر أو لجماعة الذكران[١] .

قال : إذا جاء الخطاب بلفظ مذكر ولم ينص فيه على ذكر الرجال فإن ذلك الخطاب شامل للذكران والإناث كقوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله )[٢] ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة )[٣] .

وقال القائل : هذا القوم من بنى فلان . قال فذهب أكثر أهل اللغة إلى أن القوم للرجال .

قال ثعلب : امرؤ ، وامرآن ، وقوم ، وامرأة ، وامرأتان ، ونسوة .

وقال عبد الله بن مسلم : القوم الرجال دون النساء ، ثم يخالطهم النساء . فقال أهؤلاء القوم . قوم فلان ، ولا يجوز للنساء ليس فيهن رجل . هؤلاء قوم فلان .

ولكن يقال هؤلاء من قوم فلان[٤] لأن قومه رجال والنساء منهم ، قال وإنما سمى الرجال قوماً لأنهم يقومون فى الأمور عند الشدائد .

---

(١) الصاحبى ص ١٢٠

(٢) من سورة البقرة / ٢٧٨

(٣) « « « / ٤٣

(٤) الصاحبى ص ٣٠٥

قال فى البرهان : « وإنما كان التغليب من المجاز لأن اللفظ لم يستعمل[١] فيما وضع له ألا ترى أن تغليب الذكور على الإناث فى قوله تعالى ( وكانت من القانتين ) موضوع الذكور الموصوفين بهذا الوصف ، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق على غير ماوضع له »

ونقول فى إجراء التجوز فيه ، فيشبه القنوت الواقع من الأنثى بالقنوت الواقع من الذكر ويدعى أنه من أفراده ، ويستعار اسم الثانى للأول[٢] ويشتق منه قانت بمعنى قانتة كما هو مقتضى كلامهم .

الألوان البديعية فى الصاحبى :

ذكر ابن فارس من الألوان البديعية المشاكلة ولكنه ذكرها تحت باب المحاذاة[٣] فيقول ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه كقوله تعالى : ( وجزاء سيئة سيئة مثلها )[٤] وغير ذلك من الآيات القرآنية .

كذلك تناول اللف والنشر تحت باب جمع شيئين فى الابتداء بهما ، وجمع خبريهما ثم يرد إلى كل مبتدأ به خبره ، وسواء كان اللف والنشر مرتباً كقوله تعالى ( ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله )[٥] فالمعنى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله .

---

(١) البرهان ج ٣ ص ٣١٢
(٢) حاشية الانبابى ص ٢١٣
(٣) الصاحبى ص ٣٨٥
(٤) من سورة الشورى ٤٠
(٥) من سورة القصص ٧٣ ، الصاحبى ص ٤١٠

وتحدث عن الإستخدم وإن كان لم يسمه باسمه ولكنه ذكره تحت الكناية المتصلة باسم وهى لغيره كقوله جل ثناؤه ( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين )[١] فهذا آدم عليه السلام المقصود من الإنسان ثم قال : ( جعلناه نطفة ) فهذا لولده لأن آدم لم يخلق من نطفة .

وتحدث عن المبالغة تحت باب الإفراط[٢] وهى التى يراعى فيها مجاوزة الحد المألوف إقتداراً على الكلام وغيرها من ألوان البديع .

« وبعد »

فهذه جوانب بيانية وفنون من البديع أطلت من رأس ابن فارس فى كتابه الصاحبى مثلت البلاغة العربية وما فيها من تحليل بديع أجبرتنا على أن نقول إن كتاب الصاحبى لم يكن كتاب فقه لغة فحسب ولكنه مثل جوانب بلاغية وجوانب نحوية وصرفية وشعر وغيره ، وحق على أهل النظر أن ينظروا فيه بعين التقدير والتجلة رحم الله مؤلفه وجزاه عن العلم خير الجزاء .

الفقير إلى ربه الجواد

دكتور / أحمد عبد الجواد محمد عكاشة

مدرس البلاغة والنقد فى كلية اللغة العربية بأسيوط

---

(١) من سورة المؤمنون ١٢ — ١٣ . الصاحبى ص ٤٤٢

(٢) الصاحبى ص ٤٥٣